الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الزهد عند أبي إسحاق الألبيري
-دراسـة موضوعيـة-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص:أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
* عادل قدرز

إشراف الأستاذة:
سليمـة خليــل

السنة الجامعية: **2015/2014**

الإهـداء

أهدي عملي إلى:

أمي و أبي و أخواتي و أبناءهم إلى عبد الصمد إلى كل أصدقائي و خاصة زملائي في الدراسة، عبد الباسط و بوجمعة، عبد الغاني، يوسف، هشام، يوسف، حسين .

إلى أحبتي بلا استثناء مادامت الحياة صفحات ودربها العمل الصالح والإخلاص والوفاء .

إلى كل من يضيء درب الإنسانية ما دامت الحياة كلمات .

شكر و عرفـان

الحمد لله تعالى و نشكره على توفيقه وتيسيره في إقامة هذا البحث :

والشكر الخالص والدائم اوجهه إلى الأستاذة المشرفة سليمة خليل حفظها الله .

وإلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على تشريفي بمناقشة هذا البحث المتواضع.

إلى كل من ساعدني على إتمام هذا البحث ولو بمثقال حبة من خردل مشفوعة بالدعاء وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مقدمة

مدخل: الحيـاة الدينيـة فـي الأندلـس

أثر الدين الإسلامي على الحياة الفكرية و الأدبية، حيث هذّب الأساليب الشعرية عند العرب و لأن الإسلام دين اعتدال فقد وجد فيه بعض الشعراء ضالتهم المنشودة فتولد عن هذا اتجاه شعري جديد عرف بالزهد فكثرت القصائد التي تتناوله متكئة على مرجعيات مستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة .

و بما أن الإسلام قد عرف وجودا و مكانة في الأندلس فلا ريب أن يتخذه بعض الشعراء منبعا في بناء قصائدهم و لعل اللجوء إلى هذا الغرض كان بسبب فرار بعض الشعراء من حياة القصور و متاع الدنيا في الأندلس إلى حياة التأمل والتدبر .

عرفت الأندلس الإسلام مباشرة بعد الفتح الإسلامي من غير أن الأعوام الأولى لانتشار الإسلام لم تشكل استثناءات على قيام حضارة مميزة و ظلت هذه البلاد كغيرها من البلدان الإسلامية ،" فقد فتح المسلمون خلال تلك السنوات القلائل هذه الجزيرة الضخمة من أقصى الجنوب إلى جبال ألبرت ponteners و شاطئ البحر في الشمال و من مالقه وطركونة في الشرق إلى قالمرية واشبونة في الغرب و استولوا فيها على سهول الجنوب و على مرتفعات قشتالة ، و لم يغادروا بلدا عظيما أو حصنا هاما إلا رفعوا عليه راية الإسلام و أدخلوه في حوزة الدولة الإسلامية الكبرى"[1].

و هذه الفترة لم تكن إلا فترة إنشغل المسلمون فيها بتبسط سيطر تهم على هذه البلاد و إخضاعها.

و لعل بداية النهضة الإسلامية في الأندلس جاءت مباشرة بعد "سقوط الدولة الأموية عام 133 هـ الموافق 551 هـ، فمن الناحية السياسية لم يستقر سلطان الأندلس في بدايتها لتولى عدد أمن الولاة ، و عدم توحد الأندلس بشكل كامل و في هذه الحقبة لم يكن هناك اهتمام بالثقافة و العمران أو أي مظهرة من مظاهر الحضارة لكن الأمر اختلف بقدوم "عبد الرحمان الداخل" (ت 172 هـ) الذي سعى جاهدا لتوحيد الأندلس تحت سلطانة تكوين دولة أموية جديدة في الأندلس "[2] هذه الدولة ستفرز نمطا حياتيا جديدا و هذا بفعل الاستقرار السياسي و التقدم العمراني الذي أثر في ترف الحياة و ازدهار الحالة الاقتصادية في البلاد ... "فقد

[1] – منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ، 1986 ،ص 08.

[2]– أزاد محمد الباجلاني، المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة دار غيداء ، الأردن ، ط1 2013 ، ص 17 .

امتلأت قصورهم و بيوتهم بمختلف المظاهر التي أسهمت في التقدم الحضاري بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي"[1] ؛هده الحياة الجديدة ستؤثر على السلوكات والممارسات الاجتماعية فتقود إلى انتشار مظاهر تعتمد على النزوع المادي و التوجه نحو الابتعاد عن تعاليم الذين الإسلامي مما سيتوجب ظهور حركة منها تسعى إلى إعادة الأمور إلى نصابها انطلاقا من العودة إلى القرآن و السنة و بما أن الشعراء هم لسان حال هذه الأمة فسيجدون ضالتهم في الدين الحنيف ليبلورا نظرتهم تجاه هذا الواقع الجديد .

و بعد استتباب الأمن و استقرار الأمور ، حاول الحكام الجدد إقامة نهضة فكرية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية فتحسنت أوضاع البلاد و انتشرت المدنية و عم الخير و كثرت المؤسسات الاقتصادية .

و هذا ما أفضى إلى إنتشار كثرة الترف و البذخ ، حيث تحولت الأندلس في فترة وجيزة إلى بلاد شبه أجنبية ، فكثرت الجواري في القصور ومجالس اللهو و بدأت أخلاق الشباب في الانحراف .

و بقي الإسلام شكليا في المساجد و أضحى محصورا في مناطق بعينها و قد شاع في عصر ملوك الطوائف أن الملوك و الأمراء أصبحوا يتنافسون فيما بينهم فيمن يمتلك أجمل الجواري و أكثروا من الغلمان حيث ظهر نوع عن العزل عرف بالتغزل بالغلمان.

كل هذه المؤثرات الحضارية ، كان لا بد لها من حركة مضادة ، تسعى إلى اعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي ، و قد تزعمها مجموعة من الشعراء الزهاد على رأسهم ابن خفاجة " و" ابن عربي " و أبو اسحاق الالبيري "

فأرسى هؤلاء مقاومة فكرية لمظاهر الانحلال و الترف و هجرة ملذات الدنيا و كان شعرهم بمثابة محاكمة للعصر و قد توجه الشعراء إلى الزهد بغرض الدفاع على الدين و كذلك إلى دعوة الشباب إلى الأخلاق الحميدة ، ترك الجري وراء الشهوات حيث يرى الناقد" إحسان عباس " أن «الزهد و لد في أحضان الثورة على الحكم الربضي (ت 206 هـ) ، و كانت في تلك الفترة عبارة عن أشعار في الزهد ينظمها الأتقياء ، و يتغنون بها في الليل و يضمنوها التعريض بالحكم لما كان عليه من عصيان »[2]

[1]- منى حسن محمود،المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، ص 18 .

[2]-انخل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية مصر،ط1،1955،ص320

فالزهد إذا نشأ كرد فعل على الحكم الريضي ، الذي كان حاكما مارقا، خارج عن المنظومة الدينية لتلك الفترة .

و قد استقى الزهاد مادتهم من تأثرهم بالقرآن ، فقد كان "زهاد أندلسيون اجتهدوا في تعذيب أبدانهم و حرمان أنفسهم من اللذات و آثروا الفقر عن طواعية ، و كانوا يقطعون سواد الليالي في قراءة القرآن و يصومون الدهر و لا يأكلون إلى مرة واحدة في الأسبوع في شهر رمضان و لا يتداوون إذا مسهم مرض و يقيمون حياتهم عزبا ويخرجون عما بأيديهم للفقراء أو يفتدون به الأسرى ، و يقطعون العمر متوحدين بأنفسهم في عزلة و تأمل"[1] و كل هذا الأمر متعلق بالدين الإسلامي الذي يحبب العبادة في التقوى و هجر الملذات .

و قد عرف الأندلسيون بحبهم للشعراء و أولوا عناية خاصة له فكان من الطبيعي أن تجود قرائح الزهاد ببعض المقطوعات الشعرية التي يتغنون في الغالب ومن روائها الموعظة و الدعوة إلى العودة إلى الطريق الصحيح ونصرة الإسلام ،و لعل أبرز شيء أثر في ظهور الزهد كتوجه شعري يستمد خصوصية من الدين الإسلامي ، "فقد بدأ الغناء في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط الاهتمام بالغناء و الموسيقي ، حيث قدم إلى الأندلس زرياب المغني الشهير من العراق و لقى خطوة و اهتماما حتى قيل إن الأمير عبد الرحمن بالغ في إكرامه لدرجة اعتباره نصير الفن في الأندلس لذا زاد سخط الفقهاء و غضبهم لأنهم ينظرون إلى الموسيقي و الغناء بعين السخط و يعدوه الأشغال بها أمرا محطا لا يليق إلا بدوي السمعة السيئة "[2] و بالتالي سيقوم هؤلاء بشحذ الهمم و دعوة شعرائهم حتى يرد على هذا الأمر و بالإضافة إلى الغناء ، فقد ظهر الترف و البذخ الذي طغى بشكل كبير على المجتمع الأندلسي .

فازدادت حركة الزهد،حتى أضحت تشكل حركة مضادة لما آل إليه المجتمع من التحرر والمجون وانحراف وذهاب بعضهم إلى مجالس الغناء و الموسيقي، هذه المجالس التي كانت موازية لما كان جاريا في العصر العباسي، لذا كثر لزهاد كثرة مغرضة حيث يقول الباحث مصطفى بهجت "حين يتحدث عن شعر الزهد والتصوف قبل عصر الطوائف نجد ظاهرة

[1]-إحسان عباس ،تاريخ الأدب عصر سيادة قرطبة،سلسلة المكتبة الأندلسية،دار الثقافة،بيروت ،لبنان،ط7،1985،ص116.

[2]-المرجع نفسه،ص125

تتمثل في كثرة الزهاد الذين ألفوا حجما من المجتمع"[1] و قد أدت هذه الكثرة إلى استمالة الناس لهذا الاتجاه ، وذلك بعدما اتخذ هؤلاء ، نهجا جديدا في نشره حيث قاموا بإدخاله إلى المساجد، وحملوه معاني و أغراض جديدة مثل التذكير باليوم والآخرة والجنة و النار، التنديد بالإقبال على الدنيا و متعها ، وهذه المضامين ، إن كان القرآن قد تحدث عنها فإن توظيفها في الشعر قد زاد من قربها إلى إفهام الناس و قد استمر الزهد في التشكل و التبلور حتى بلغ أقصى درجاته ، فظهر التصوف الذي نشأ في أحصان الزهد حتى نضج في أواخر القرن الثالث الهجري .

و قد كان الفضل لهؤلاء الشعراء المتدينين في إعادة الاعتبار للدين الإسلامي و توجيه الحياة الفكرية و الدينية في العصر الأندلسي ، فهؤلاء قد احتضنوا الإسلام و اقنعوا به الناس ووظفوه في أشعارهم في ظل كثرة اللهو و المجون و هذا أمر طبيعي ، "لأن التيار الديني يتفق مع المنطق لتطور الأشياء ، فحتما وجد اللهو و المجون ، ووجدا الزهد و الورع ، وتلك سنة الحياة و طبيعتها في كل زمان و مكان[2] ، فمن الطبيعي أن الرؤية الإسلامية هي التي تنظم الأخلاق .

[1]– شوقي ضيف : الفن و مذاهبه في الشعر العربي دار المعارف ، مصر ط 13 ، د س ص 100

[2]- نافع محمود،اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،دار الشؤون االثقافية العامة ،1990، ط1، ص212

الفصل الأول: الزهـد وعوامـل ظهـوره

1. تعريف الزهد

2.1 الزهد في القرآن والسنة

3.1 الزهد عند السلف الصالح

2. عوامل غرض الزهد في الأندلس

1.2 العامل الديني

2.2 العامل السياسي

3.2 العامل الاجتماعي

4.2 زهد الشعراء

1.تعريف الزهد :

"الزاء والهاء والدال أصل يدل على قلة الشيء والزهيد الشيء القليل ،وهو مزهد قليل المال وقال رسول الله صل الله عليه وسلم «أفضل الناس مؤمن مزهد» و هو المقل ويقال ازهد ازهاداً"[1].

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمحشري في معنى" زَهَد زهِدَ وزهُدَ في الشيء : رغب عنه وفلان زاهد بين الزهادة والزهد وهي قلة الطعم ويقال زهيد الطعم قليل المال وقد أزهد إزهادا وقدم إليه طعاما فتراه زهد أي رأوه زهيدا قليلا و تحاقروه "[2]، فقد حملت معنى القلة وفي لسان العرب لابن منظور لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة " ويقال زَهِدَ زَهَدَ زُهدَا وفلان يتزهد أي يتعبد، فالزهد بمعناه اللغوي الخاص له مدلوله ديني بمعنى عدم الرغبة في الدنيا وعدم العرض عليها" [3].

لقد أجمعت مختلف التعريفات على أن الزهد ضد الرغبة والإعراض عن الدنيا وعدم الحرص عليها.

لكن الزهد بمعناه الاصطلاحي لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذي تشير إليه معاجم اللغة "وإنما هو مفهوم معقد جدا إلى الدرجة التي لم يتمكن كثيرا من الباحثين من القول فيه بقول فصل في مسماه وفي معناه ولا في شأنه و تطوره ولا في ماهيته وأبعاده فكثرت في ذلك الأقوال و تعددت متقاربة أحيانا و متباعدة أحيانا أخرى "[4].

و يعرفه الغزالي بأنه " أن تأتي الدنيا الإنسان راغمة صفوا عفوا و هو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم فيتركها خوفا من أن يأتي بها فيكون آنسا بغير الله محبا لما سوى الله ويكون مشرقا عاص الله غيره "[5].

---

[1] –أحمد فارس زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط :عبد السلام هارون ، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، لبنان ، ص 30 .

[2] – جار الله الزمحشري ، أساس البلاغة تح : محمد باسل عيون سود، مادة: زهد، ج3، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1998 ، ص 427 .

[3] –ابن منظور، لسان العرب، مادة زهد،ج4، مكتبة دار المعارف بالقاهرة ، 1979 ،ص 180 .

[4] –محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة، في بلاد المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية، 1993 ، ص 87 .

[5] –الغزالي، إحياء علوم الدين – دار الفكر، مصر، دط، دت، ص 187 .

قال" إبراهيم بن أدهم": "الزهد ثلاثة أقسام مزهد مزهد وزهد فضل وزهد سلامة، فأما الزهد غرض فالزهد الحرام، وأما الزهد الفضل فالزهد في الحلال، وأما زهد السلامة فزهد في الشبهات" [1]، قال يونس بن ميسرة "ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال وإنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن يكون حالك في المصيبة و حالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحك أو ذامك في الحق سواء" [2] .

قال" ابن السماك" : " الزاهد الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح وإن أصابته الدنيا لم يحزن يضحك في الملا و يبكي في الخلا" [3].

وبعد هذه التعريفات نستنتج أن الزهد في الاصطلاح يدل على ترك ملذات الدنيا وشهواتها أو عدم الإسراف فيها حبا وميلا للآخرة و نعيمها الباقي "فقد كان سليمان وداوود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما وكان نبينا صلى الله عليه و سلم من أزهد البشر على الإطلاق "[4].

فالزهد قيمة دينية لأنها تمثل أعلى درجات الإخلاص لله تعالى ولأنها تدعو إلى الانصراف عن ملذات الحياة ومتاعها وعدم الركون إليها وتحقيرها.

2.1 الزهد في القرآن والسنة :

الزهد ظاهرة إنسانية خالصة استمدت كينونتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الأمور التي حث عليها الله عز وجل في كتابه الكريم الذي جاء مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها من الترغيب في الآخرة و الإخبار بشرفها "ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار" [5]، وذلك بيان النظر إلى الحياة الدنيا بعين الزوال قال تعالى : « **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا**

---

[1] –أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، مكتبة الصحابة، جدة، ط2، 1992 ، ص 191 .

[2] –المرجع نفسه ،ص 192.

[3] – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، شرحه أحمد أمين إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 22 .

[4] –ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1 ،دت،13.

[5] –أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد، دار ابن كثير ، ط1 ، 1999، ص 05 .

يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » [1].

وقال تعالى : « **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وفِي الآخِرةِ عذاب شَدِيد ومغفِرةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضوان وما الحياة الدُّنْيا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور**»[2].

إن كثيرا من الآيات القرآنية تحمل في ثناياها عدم الغرور في ملذات الدنيا الزائلة .

ولم ترد لفظة الزهد في القرآن الكريم سوى مرة واحدة في قوله تعالى:« **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** »[3] .

جاء في تفسير ابن كثير: "أي إعتاض عنه اخوته بثمن قليل كانوا مع ذلك فيه من الزاهدين أي ليس لهم رغبة فيه[4]"، والسنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر الزهد الإسلامي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الزاهد الأكبر وهو معلم الزهد و يؤكد في كثير من أحادثيه عن زوال الدنيا وفنائها فقد وردت في السنة كلمة الزهد في مواضع كثيرة منها قول الرسول عليه الصلاة والسلام «إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة المنطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة»[5].

وقال عليه الصلاة والسلام «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[6]، فالرسول صلى الله عليه وسلم يجعل الزهد سببا في محبة الله لعبده .

وقد أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المعنى الحقيقي للزهد حين قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة أن تكون بما في يد الله

---

[1] –سورة يونس الآية 23 .

[2] –سورة الحديد الآية 20 .

[3] –سورة يوسف الآية 20 .

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،دت،ص442.

[5] –ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب 01 ، رقم الحديث 4101، ص 1373 .

[6] –المرجع نفسه ، كتاب الزهد باب 01، 4202 / ص نفسها .

تعالى أوثق منك بما في يداك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك» [1].

فعن أبي العباس بن الساعد يرضى الله عنه قال : «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» [2] .

ومن الصحابة الدين زهدوا في الدنيا الخلفاء الراشدون ومنهم وعبد الله بن عمر بن العاص* *أبو الدرداء *الذي يروي عنه في الزهد عبارات مأثورة من مثل قوله «أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمن الدنيا والموت يطلبه وغافل لا يعقل عنه وضاحك ملأ فيه ولا يدري أساخط ربه أم راض وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله لا يدري أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار» [3] .

بهذا انتشرت موجة الزهد عند الكثير من الصحابة الذين كانوا مرافقين لزاهد الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالزهد لا يعنى عند الرسول الكريم انصرافا تاما عن الدنيا وإنما يعنى الاعتدال فتعاملوا مع الحياة الدنيا على أنها معبر للآخرة و لم يفتنوا بمال أو جاه ،فالزاهد يعمل في الدنيا ولكنه لا يجعل للدنيا عليه سلطانا "فكان النبي والخلفاء الراشدين يزهدون في حطام الدنيا وينصرفون عن التنعم بملذات الدنيا ولكنهم لا ينصرفون عن الفتح والاستملاك والاهتمام بأمور المسلمين و تحسين معاشاتهم"[4].

وكان الصحابة رضوان الله عنهم مصدرا للزهد في سلوكهم طريقة حياتهم، حين قال عمر رضي الله عنه «لولا أني أخاف أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشتكم ولكن سمعت الله عير قوما فقال : أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها"[5].

---

[1] –سنن الترمذي،تحقيق : إبراهيم عطوة عوض، ، القاهرة، مصر، ط1،دت، ص 517 .

[2] – يحي بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، منشورات مكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2 ،1982، ص 105 .

[3] –الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الجانحي ، القاهرة، ط7، 1998 ، ص 151 .

[4] –حنا نمر، دراسات في الأدب و الفن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان ،ط1،دت، ص 261 .

[5] –عبد الله بن مبارك المرزري، الزهد والرقائق، تحقيق أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر ، م1 ، ط1 ، 1990 ص 32.

فالزهد مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فالقرآن الكريم يحوي الآيات الدالة على ذم الدنيا وزخرفها والتقليل من شأنها كما كان لأحاديث النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث من خلال زهد رسول الله وصحابته الكرام فالدنيا من منظور الدين الإسلامي ما هي إلا مرحلة تحضير للحياة الآخرة وهي مجرد تمهيد لما هو آت من نعيم وراحة وحسن الجزاء .

لكن هذا لا يعني أبدا التفريط في بعض ملذات الدنيا وإنما يجب أخدها بحذر دون إفراط حتى لا يقع الإنسان في المحظور.

3.1 الزهد عند السلف الصالح :

لقد كان لعديد علماء الأمة الإسلامية الفضل في شرح مفهوم الزهد وتوضيحه وقال الإمام أحمد بن حنبل "الزهد على ثلاثة أوجه الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين"[1].

وقال "سفيان الثوري": "ليس الزهد بأكل الغليظ ولا لبس العباءة ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت"[2]، فالموت حقيقة ينتظرها كل إنسان،وقصر الأمل يقطع كل لذة وينسي كل شهوة من أجل التفرغ لعبادة الله والاستعداد للموت .

وقال "يحي بن معاد" : "لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاثة خصال عمل بلا علاقة ، وقول بلا طمع و عز بلا رياسة"[3].

وتكلم العلامة السلفي ""ابن القيم" رحمه الله عن درجات الزهد فقال:

الدرجة الأولى : الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة والأنفة من المنقصة كراهة مشاركة الفساق .

الدرجة الثانية : الزهد في الفضول وهو ما زاد عن المسكة البلاغ من القوت باغتنام التفرغ على عمارة الوقت وحسم الجأش والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين .

---

[1] –أبوبكر بن أبي الدنيا القريشي البغدادي، كتاب الزهد، ص 06 .

[2] –القشيري، الرسالة القشرية،دار الكتاب العربي، بيروت،دط، دت، ص 56 .

[3] –ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 11 .

الدرجة الثالثة : الزهد في الزهد وهو بثلاثة أشياء احتقار ما زهد فيه واستواء الحالات فيه عندك والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق "[1]

أما الإمام الغزالي فقد قسم الزهد إلى ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : و هي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد .

الدرجة الثانية : الذي يترك الدنيا طوعا لاحتقاره إياها بالإضافة إلى ما هي فيه، كالذي يترك درهما لأجل درهمين فهو يظن في نفسه أنه يترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان .

الدرجة الثالثة : وهي العليا أن يزهد طوعا فلا يري زهده إذا عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك حزفه وأخد جوهره فهذا هو الكمال في الزهد "[2]

فالزهد مراتب عند الإمام الغزالي فهو مرتبط بالإعتدال وعدم الإسراف في متع الدنيا والإقبال على العبادة و الانصراف عن لذائد الحياة و التفرغ إلى عبادة الله عز وجل؛ لأن الزهد في الدنيا له معنى جليل .

قال أحمد بن قدامة :" اعلم إن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين، والزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه وشرط مرغوب عنه إن يكون مرغوبا فيه يوجه من الوجوه فمن رغب شيء ليس مرغوبا فيه ولا مطلوبا في نفسه لم يسم زاهدا"[3].

فالزهد رغبة لمن أراد أن يسلكه ويتبع طريقة، ومن ليس له الرغبة فلا يسمى زاهدا فإنما الأعمال بالنيات.

ولقد فرق ابن الجوزي بين الفقر والزهد فقال: "إن حب الدنيا رأس كل خطيئة بغضها أسباب كل طاعة ومقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا"[4] .

---

[1] – ينظر ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ص 13 –14 .

[2] – ينظر أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 266 .

[3] –عبدا لله بن المبارك المروزري، الزهد والرقائق، ص10.

[4] –ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان، دمشق،دط ، 1987 ، ص 316 .

وقد قسم ابن القيم الزهد إلى أربعة أقسام : أحدها فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام وهذا متى أحل به انعقد سبب العقاب فلا بد من وجود مسببه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده .

أما القسم الثاني: فزهد مستحب، وهو على درجات في الاستحباب، بحسب المزهود فيه وزهد في المكروه و فضول المباحات والتفنن في السهرات المباحة .

والثالث :زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المستمرون في السير إلى الله [1].

في هذا التقسيم نرى التقسيم الثالث هو الزاهد الحقيقي الذي يسير على خطي يسلمه بعيدة عن كل الشبهات الوقوع في الحرام والمباحات وغيرها من المفاسد .

ولهذا فإن لكل عالم من العلماء له تصنيف خاص ولكن لا يختلفون في المضمون وعن الزاهد الحقيقي يتميز عن غيره من الناس من خلال السلوك بعبادة الله تعالى ومحبة الله.

فالزهد له قيمة دينية استمدت كينونتها من القرآن والسنة النبوية فالزهد يعد من العوامل التي تقوى إرادة الإنسان وتمنحه الثقة بالنفس وقد اعتمد عليه الإسلام في سعيه إلى تهذيب السلوك الإنساني وتربية النفس الإنسانية بالابتعاد عن الملذات وتفضيل نعيم الآخرة عن نعيم الدنيا لأن الدنيا زائلة وذلك بالاتجاه إلى الله والانقطاع عن الشهوات ونهي النفس عن الهوى والقناعة والغني التحلي بالأخلاق المستمدة من الدين الحنيف ليس الزهد رهبانية أو انقطاع عن الدنيا وإنما يجعل صاحبه ينظر للحياة الدنيا ولا يجعلها عليه سلطانا فلا إفراط ولا تفريط؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم في زهده لا يعني عن الانصراف من الدنيا كلية، إنما الاعتدال والتوسط لم يكن الزهد ليصرفه عن الحياة والمجتمع بل يعطيهم تحفيزا من اجل تكوين وتشكيل مجتمع سوي.

[1] –أبو عبد الله القرطبي، الزهد ،تحقيق مجدي فتحي السيد ، مكتبة الصحابة،طنطا،مصر، ط 1 ، 1988 ، ص 21 .

2.عوامل الزهد في الأندلس :

راج الزهد في الشعر الأندلسي وازدهر ازدهارا ملحوظا، حتى غدا تيارا واسعا وعميقا فمنهم من قصر شعره على مذهب الزهد، ولم يتجاوزه إلى عرض آخر ومنهم من تناوله ضمن أغراض أخرى، وكانت البواعث الدينية وسياسية واجتماعية وثقافية وغيرها عملت على تقوية نزعة الزهد في نفوس الأندلسيين ومن أبرز العوامل التي كان لها تأثير واضح في هذه المرحلة .

1.2 العامل الديني :

إن فلسفة الزهد في الحياة و التمسك بما يوصل للآخرة "هي القيمة الكبرى التي نادى بها دعاة الزهد في كل عصر فجمال حياتهم وقيمتها في ترك ما بين أيديهم من ملك والعيش في الدنيا على شاكلة النساك المتعبدين"[1] ولأن هناك دعوة ضمنية من القرآن الكريم للابتعاد عن ملذات الحياة وشهواتها وتمكن هذا الدين من قلوب معتنقيه وقد كان لآيات كثيرة تقوم على الترهيب والترغيب دور كبير في ذلك، فباعث الخوف يكون مرتبطا بالإيمان يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ »[2]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة التي يقتدي بها كل الناس بالسير على نهجه القويم فابتعد عن الملذات "وكان من جوانب حركة الزهاد في المجتمع الأندلسي واهتمام الكثير منهم بالعلوم الدينية وقيامهم بتدرسيها فكان للكثير منهم حلقات تدريس ومجالس علم يؤمها الطلبة ويفد إليها الناس من أنحاء شتى للسماع إليهم"[3].

فقد ظهرت طائفة من الفقهاء والعلماء والشعراء الذين يعبرون عن أحاسيسهم بأبيات زهدية فيها ذاتية واضحة وكانت المنطلق من تلك العلوم الدينية المتمثلة في القرآن والسنة النبوية الشريفة "ويبدو أن عدد الزهاد في الأندلس كان من الكثرة مما كان حيث تكاثروا في عهد يعقوب الموحدي وكون منهم فرقة كبيرة جعلتها لمقدمة جيشه في عزوة الأرك

---

[1] –آزاد محمد كريم الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة والطوائف،دار غيداء للنشر والتوزيع، جامعة الأنبار،ط2013،،1ص212.

[2] –سورة الرحمن الآية 46 .

[3] –محمد بركات البيلي الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب الأندلسي حتى القرن الخامس ، ص 119 .

المشهورة"[1] وإذا كان الزهد مرتبط بجملة العلماء والفقهاء فكان أول زهاد الأندلس" عبادة أيوب بن فتح البلوطي" وكان يعاصره إمام المذهب المالكي" عيسى بن الدينار" الذي كان يعجبه ترك الرأي والأخذ بالحديث وهو صاحب كتاب الهداية و كان منهم القاضي معاذ بن عثمان الزاهد أبو دهب عبد الرحمان العباسي القرطبي "[2].

فانتشار نزعة الزهد بين العلماء والأمراء والشعراء كان حافزا قويا للناس على إتباع طريق الزهد، حيث يعتبرونهم المنطلق أو المثل الأعلى الذي يقتدي به في الزهد والتقشف" وكانت هذه الموجة من الزهد رد فعل لموجة المجون التي انغمس فيها كثير من الأندلسيين كما كان للمحن و كثرة الحروب و انحصار الإسلام في تلك البقعة الغالية أثر في تقوية نزعة الزهد في نفوس الناس "[3] ، إذ كانوا يتطلعون للجانب الروحي أكثر من تيار المجون و اللهو و الاندفاع وراء تيار الزهد فهو رد فعل حقيقي غلى تلك الموجة العاتية و الإسراف في الإقبال على الدنيا و الانغماس في الملذات و الشهوات .

وقد امتدت نزعة الزهد إلى الشعراء الأندلس "فقالوا فيها وأطنبوا و يبدو أن كثيرين منهم كانت نفوسهم مهيأة لهذا اللون من الشعر يحكم ثقافتهم الدينية و لسنا نعد الحق إذ قلنا أنهم فاقوا المشارقة في شعر الزهد من حيث غزارته و توليد معاينه "[4].

فنجد الشاعر أبا وهب العباسي القرطبي يتجه بشعره إلى الزهد و يجري مقارنة بين حالته في الزهد و حالته في اللهو والرفاهية فيقول :

أنَا في حالتّي قد ثَّرانِي ... إن تأملت أحسنَ النَّاس إنْ حالاَ

مَنْزِلي حيثُ شئت من مستَّقر ... أرض أسَّقى من المياه زلالَا

ليسَ لي كسَوة أخاف عليها ... من مغير ، و لن ترى ليس مالاَ

أجعلُ الساعدُ اليمين وسادي ... ثم أثنى إذا انقلبت الشِمالاَ

ليسَ لي والد ولا مولودٌ ... لا و لا حزت مُدْ عقلت عيالا

---

[1] –عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير، عمان، الأردن، ط1 ،دت،دط، ص 133 .

[2] – ينظر المرجع نفسه ، ص نفسها .

[3]– فوزي عيسى في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ،ط1 ، 2008 ص 132 .

[4]–عبد العزيز عتيق،الأدب العربي في الأندلس،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ط2،ص220

قد تلذذتُ حقبة بأمورِ فتدبرتُها فكانت خَيالا"[1]

فقد أكثر في شعره من الدعوة غلى القناعة و التواضع في المسكن مازجا إياها بالثقة بالله تعالى .

فقد كانت" لرحلات الزهاد الأندلسيين إلى المشرق الأثر البالغ في انتشار الزهد فتأثروا بهم و تعلم منهم فلما عاد هؤلاء و أولئك إلى الأندلس سلكوا في دويهم مسلك الزهاد وساروا سيرتهم و نشروا فيهم ما تلقوه من الزهاد المشارقة مما كان عليه اثر كبير في انتشار نزعة الزهد بين أهل الأندلس وإقبال كثير منهم على الزهد إقبالا ملحوظا"[2].

فانتشار الزهد بين العلماء و الشعراء و الأمراء كان حافزا قويا للناس، لإتباع طريق التقوى و الصلاح حيث كانوا ينظرون إليهم قدوتهما لأعلى في الزهد و"كان الاتصال بالمشرق عاملا مهما ساعد على بلورة حركة الزهد الناشئة فالأندلسيون الذين قصدوا المشرق تحدوهم غايات مختلفة ،فمنهم من قصده بنية الحج و طلب العلم من منابعه، ومنهم من كان غرضه التجارة و التكسب ، عادوا إلى وطنهم محملين بأفكار و تعاليم عملوا على نشرها في الوسط الأندلسي"[3] و مهما يكن فقد كان للفقهاء و الشعراء و العلماء الدور البارز في نشر الزهد في الفكر الأندلسي مستمدين ذلك من القرآن الكريم و الحديث "مما جعل المجتمع مهيأ لهذه الظاهرة وداعما لها فكانوا يعلمون أهل الأندلس في أمور دينهم و ويفقهونهم في علوم الدين و يأمرونهم بالمعروف و ينهونهم عن المنكر بعد أن سلكوا هم أنفسهم الطريق القويم فيتخذونهم أسوة يتأسون بها "[4].

و من "أشهر الزهاد في الأندلس نجد " أبو عبد الله الجبلي" المعروف بابن مسرة و قد ذكر ابن خاقان "ابن مسرة كان على طريقة من الزهد و العبادة سبق منها و اتسق فيها في سلك مقتفيها" [5].

---

[1] –أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، م3 ص 207 .

[2] –محمد بركات البيلي ،الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب الأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ص 120.

[3]– التميمي أبو عبد الله محمد المستفاد في مناقب العباد مدينة فاس و ما يليها من البلاد تحقيق محمد الشريف منشورات كلية الاداب و العلوم الإنسانية ط1 ، تطوان،2002 ، ص 29.

[4] –المرجع السابق، ص 133 .

[5]– محمد بن الحارث الخشني ،قضاة قرطبة ،مكتبة الجانجي القاهرة ،ط1، 1953،ص 98 .

فقد كانت فلسفة إبن مسرة "خطوة جريئة نحو توحيد التجربة الفلسفية الإنسانية و إن تعددت مداخلها و مناهجها و كذلك لغاتها و تفعيل الفلسفة الإسلامية للاشتراك في رصف أبجدية بشرية واحدة هي لغة الوجدان المنصرف عن الواقع الزائل نحو الباطن العميق"[1]

فمذهب ابن مسرة كان دافعا من الدوافع في ترسيخ الزهد في الأندلس ، فقد كانوا القدوة الحسنة للعامة الناس في الورع و التقوى و يميلون إليها كل الميل .

2.2 العامل السياسي :

لقد ظهرت الأندلس بكثرة الفتن و الإضطربات السياسية التي عمتها منذ الفتح الإسلامي لها ، وكان لهذا أثر بالغ في هروب الناس من الواقع المعاش إلى الزهد "فاستمرت الحروب والثورات تفرض نفسها على الساحة الأندلسية،و منذ انتهاء عصر الإمارة الأموية ظهرت فتنة ثانية أضعفت المسلمين و بعد إعلان الخلافة الأندلسية أطلت الفتنة من جديد لتعصف بالحكومة المركزية في الأندلس وتمزق الأندلس أشلاء صغيرة عرفت باسم ممالك الطوائف التي كانت مهدا للحروب "[2].وقد كان الشعور بالخيبة و المرارة في قلوب الأندلسيين إزاء هذه الأوضاع المفككة و المنقسمة و إزاء هذه الأوضاع ، فتصاعدت الدعوات إلى وحدة الكلمة ، واتخاذ العبرة و الرجوع إلى الله و العودة إلى الأئمة المسلمين لأنهم تهاونوا في دينهم فانتقم الله منهم فكان من الطبيعي أن تحز هذه الفتن و الحروب في نفوس كثير من أهل الأندلس فهانت الدنيا في أعينهم و جنحوا إلى الزهد كرد فعل لنزعة التكالب على الدنيا و التقاتل من أجل عرضها و زخرفها "[3]هذه الأوضاع السياسية المتسمة بالتفكك و الانقسام و التأمر مع الأعداء جعلتهم يشعرون باليأس من إصلاح قادتهم ، فضلا عما يحل بهم من ويلات و محن أثناء تساقط المدن مما ألقى بتبعات ثقيلة على نفوس العامة و جعلهم يتجهون إلى الزهد كملاذ أو ملجأ أخر

---

[1]– خالد سعيد العلام ، مصادر تجربة ابن مسرة الصوفية ، جامعة عمر المختار كلية الآداب ، ص 03 .

[2]– أنظر ، محمد بركات البيلي ، الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس الهجري ، ص 128 .

[3] –المرجع نفسه ص .129

.يجدون فيه مبعثا للأمل كي يتناهوا على مصابهم رغبة في تحقيق حياة أفضل من حياة الدنيا و هي حياة الآخرة "[1].

و كانت الأندلس تعاني من التهديد الإسباني و من ملوكها الدين أسرفوا على أنفسهم في اللهو و المجون ، و في معاداة بعضهم بعضا ، "و أستطاع ألفونس السادس ملك قشتالة أن يخضع ملوك الطوائف ،و أن يصل بجنده إلى جزيرة طريف ، و إذا بلغ الضعف منتهاه" [2] و قد تصدى عدد من الفقهاء الأندلس و أدبائها و شعرائها لمواجهة الأوضاع المزرية و ذهبوا في ذلك مذاهب شتى ،منها الحض على الجهاد كما فعل أبو حفص الهوزني و غيرهم و منها السعي إلى وحدة الأمة الأندلسية و لم شملها كما جعل أبو الوليد سليمان من خلف الباجي و منها الاستنجاد بمسلمي المغرب لانقاد الأندلس من خطر القشتالين و تخليصها من ملوك الطوائف"[3]وكان من بين هؤلاء الملوك من خطب لبني أمية على المنابر أو لبني العباس على بعد الشقة ،" و قد يتغلب بعضهم بنعوت الخلفاء كبني عباد ، فكان منهم المعتضد و المعتمد و قد عرضهم ذلك إلى السخرية في قول ابن رشيق القيرواني:" [4]

ممَّا يزهدني في أرضِ أندلس أسماء مقتدر فيها و معتضد

ألقابُ مملكة في غير موضِعها كالهرِّ يحكِي انتفاخًا صولة الأسد [5]

لقد كانت مخلفات الفتن و الثورات التي عصفت بالأندلس الأثر البالغ في انتشار الزهد بين أهل الأندلس، كرد فعل على الحياة فهانت الدنيا في أعينهم و اتجهوا إلى الزهد "فمثل هذه الأحداث و غيرها على اختلاف مصدرها و ألوانها تدفع الإنسان الدقيق الشعور إلى التفكير في مصيره بعد هذه الحياة التي لا تبتسم إلا لتكشر عن الأنياب ، فيهوله سوء

[1]– هيام يوسف المجدلاوي : الزهد في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع و الخامس الهجري دراسة تحليلية ، رسالة مكملة لنيل درجة الماجستر في الآداب و النقد ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، غزة ، فلسطين 2010 ص 25 .

[2]– سامي يوسف أبو زيد ، الأدب الأندلس ، دار المسيرة عمان ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص29 .

[3] –صلاح جرار : قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، ط1 ، ص 103 .

[4] –المرجع السابق ، ص 28 .

[5]– أحمد المقري : نفح الطيب في غضن الأندلس الرطيب ج2 ص 152 .

المصير، فيفزع إلى ربه تائبا مستغفرا ، و لطالما قربت الشدائد إلى الله من ابتعد عنه"[1] حيث قال ابن عبد ربه في توبته :

ألا إنَّمَا الدُّنيا غضارة أيكة إذا اخضّر منها جانبُ جف جانبُ
هي الدَّارُ ما الآمالُ إلا فجائعُ عليها و لا للذَّات إلا مصائبُ
فكم سجَّنت بالأمس عين قريرةً و قرَت عيونُ و دمعُها اليوم ساكبُ
فلا تكتحلْ عيناك فيها بعبرةٍ على ذاهبٍ منها فإنَّك ذاهبُ" [2]

و بهذا فقد كان للعامل السياسي الأثر البارز في تقوية و انتشار الزهد بين أوساط أهل الأندلس بسبب كثرة الفتن و الحروب و ما انجر عنها من عواقب أدت بهم إلى التفكير بجدية في أمور الآخرة أكثر من أمور الدنيا و بخاصة الشعراء الذين نظروا إلى الدنيا بنظرة تشاؤمية أدت بهم إلى التوبة جراء كثرة الحروب و توالي الفتن و المحن فالشاعر "ابن شهيد الأندلسي ينظر إلى الدنيا نظرة يائسة متشائمة سوداء جاءت من تشاؤمه الشخصي الذي عان فيه تقلب الأحوال والأمور في بلدة حينما وصلت البلاد إلى حالة من الاضطراب و الفوضى عندما يمسك دقة الأمور فيها أناس السن عندهم من الشعور بالمسؤولية " [3] فهو يذم الدنيا في شعره فيقول:

و لو أنَّ الُّدنيَا كريمة نَجرٍ لم تكُن طعمةً لفرسِ الكلابِ
و إذا ما نظرتُ ما حاز غيري قل عمَّا حملتُه في ثيابِي
جِيفةٌ أنتَنت فطارَ إليها من بني دَهرِهَا فِراخُ الذِّئابِ"[4]

بهذا فقد عاش الأندلس نوعا من الضعف و تردي الأحوال السياسية نتيجة التنازع والتناحر مع مختلف الأطياف أدت بمجموعة من الشعراء إلى نبذ الدنيا وزخرفها و جعلوا الزهد الملاذ الذي يأوون إليه .

[1]– بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس و عصر الانبعاث، دار نظير عبود ،ط2،1998، ص 63 .
[2]– محمد رضوان الداية ، ديوان ابن عبد ربه ،مؤسسة الرسالة ، ،بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1989 ، ص22 .
[3]– محمد عبد الرحمان ، شعر الحكمة و الزهد في عصر الطوائف ، مجلة كلية الأعظم ص 85 .
[4] –يعقوب زكي ، ديوان ابن شهيد الاندلس ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، ص 85 .

3.2 العامل الاجتماعي :

لقد وجدت عناصر متعددة من السكان في الأندلس من العرب البربر و كان جانبهم أهل الذمة بالإضافة إلى اليهود و النصارى و" لم يكن الزهد في الأندلس نزعة سلبية تقوم على اعتزال الناس و اجتنابهم و عدم الاكتراث بأمورهم و لكن الزهد في الأندلس كان نزعة إيجابية نشيطة و فعالة في المجتمع الأندلس يهتم الزهاد من خلالها بشؤون هذا المجتمع و يسهمون في حركته الحياتية"[1] ،و هذا من خلال الاهتمام أهل الأندلس بأمور دينهم في ظل التركيبية المعقدة للمجتمع الأندلس ووجود صراعات ؛هذا ما دفع الفقهاء و العلماء إلى الزهد في الدنيا فسلكوا الطريق المستقيم ليتخذونهم الناس أسوة حسنة هذه المكانة التي حظي بها الفقهاء و القضاة جاءت نتيجة "لاحترامهم لعلمهم فلم يبخلوا على الناس ، فأحبهم الناس، و كان لهم درعا ضد العدوان و احترموا أنفسهم بالابتعاد عن صغائر الأمور و ترفعوا عن كل مامن شأنه أن ينال من مروءتهم ، فانصاع لهم الطغاة من الحكام ، و خضع لأمرهم الجبابرة من الملوك" [2].

بالإضافة إلى الحياة المترفة اللاهية و الانغماس في الملذات و ألوان الترف و النعيم و زيادة الهوة بين الطبقات، و إزاء هذه الاتجاه الماجن ظهر الزهد كتيار معاكس للحياة المترفة لهذا وقد شاع الزهد بين الطبقات الاجتماعية "وكان صادرا في جملته عن روح الإسلام الذي تحث على اتخاذ العبرة و الخطة و التفكير في الماضي و الحاضر و الوقوف عند الأحداث و سلوك طريق الرشاد و التمسك بأهداب الدين و الابتعاد عن مناهيه ، ونبد حياة اللهو الخلاعة "[3] ، فالزهد له أهمية كبيرة على المجتمع ، فهو يهذب النفوس و يزكيها و اتخاذ العبرة و يدفع النفس إلى التخلي بالأخلاق الحميدة من خلال قصائد الشعراء في زهدهم واعتبارها مرجعا في تربية الناس.

فالزهد يمثل في بعض الأحيان ردة فعل لإسراف في أمور الدنيا و إغراق في الترف "فعبد الرحمان الناصر" كما يري أحد الباحثين أغرق في حب الدنيا و أسرف في الأبهة

---

[1] –محمد بركات البيلي : الزهاد و المتصوفة في بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس الهجري ، ص 132 .

[2]– مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين، ، ط6 ، ، 1989 ، ص 111 .

[3]– فايز القيسي ، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الخامس الهجري ،دار البشير للنشر و التوزيع ، عمان 1989 ، ص 198 .

و بناء القصور و اقتناء الجواري و القيان و كان رد فعل إسرافه و إغراقه ممثلا في أحد أبنائه وهو عبد الله ابن الناصر الذي عمد إلى الزهد الشديد و الابتعاد عن ترف الحياة في عهد أبيه بل إن استنكاره لإسراف أبيه و إغراقه في الإقبال على الدنيا دفع به إلى أن يتآمر عليه ليتخلص منه "[1] ، و بهذا كان الزهد منتشرا بين أطياف المجتمع الأندلسي في مختلف فئاته في ظل الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت لها الأثر البالغ ، و تعد دعوة الزهد إلى تصوير النقائص الاجتماعية و الأنماط السلوكية في المجتمع وسيلة من وسائله لنقد الأوضاع الاجتماعية في بيئته و كشف ما شاع من الفساد الخلقي و التفكك الاجتماعي ناهيك عن ضعف الوازع الديني في نفوس الناس .

4.2 زهد الشعراء :

لقد انتشر الزهد بشكل كبير في الأندلس ، و كان للشعراء الدور الفعال في انتشار هذا النوع ، "و لقد وقف الشعراء من الدهر موقف العداء ، إذ كانت المعركة بينهما أزلية من طرف واحد، فالخاسر الوحيد فيها دوما هو الإنسان لضعفه أمام سطوة الدهر و جبروته و كانوا في كثير من نماذجهم الشعرية يرجعون أسباب ما يعانونه و ما حل بهم من مصائب و فجائع و نكبات للزمان أو الدهر"[2].

و من الشعراء الذين مالوا إلى القول في الزهد أبو القاسم السمسير، "و كان زهده باللسان دون الاعتقاد به و الاعتماد له مذهبا، لقد زهد شعره حين قصرت أحواله عن مطالبه ، و من شعره في الدنيا و حقيقة موقف الناس منها "[3]

يقول في ذلك:

جملة الدُّنْيَا ذهابُ ... مثلما قالوا سَّرابُ
و الدِّي فيها مشيدُ ... فخرابُ و يبابُ
و أرَّى الدهر بخيلا ... أبدا فيه اضطرابُ
سالب ما هو معطٍ ... فالدِّي يعطي عذابُ
ليومِ الحشر إنعا ... م سؤالُ و جوابُ

[1] –مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته ، فنونه ، ص 57 .

[2] – محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، ص 82

[3] –المرجع نفسه ، ص ن.

فاتقِ الله و جنبْ كلّ ما فيهِ حسابُ [1]

فهو ينظر إلى الدنيا بعد ما قضى من الزمان الكثير، بحلوه ومره ،فالإنسان عليه أن يترقب يوم الحساب و يتق الله سبحانه و تعالى لليوم الموعود ،باعتبار الدنيا لا تساوي شيئا فهي دار لهو و فتنة و سراب و" لعل من أحسن الشعر الأندلسي في الزهد من حيث الشكل و المضمون قصيدة ابن حمديس الصقلي" الذي يقول فيها :

يا ذنوبِي ثُقُلْت و الله ظهرِي بان عذرِي فكيف يقبل عذرِي
كلما تبت ساعة عدت أخرى لضروب من سُّوءِ فعلي و هُجرِي
ثُقُلت خُطوتي وفَوْدي تفرًى غَيهبُ اللّيل فيه عن نُور فجرِ
دبَّ موتُ السُّكون في حركاتِي و خبَا في رماده حُمْرُ جمرِي
و أنا حيثُ سِّرتُ آكلُ رِزقِي غير أن الزَّمان يأكلُ عُمرِي [2]

فالإنسان ضعيف بطبعه أمام حقيقة القوة الإلهية فيلجأ من خلاله إلى الله باستبدال الصلاح مكان الفساد.

اتجه الشعراء بالدعوة إلى الزهد كرد فعل على مظاهر الانغماس في ملذات الدنيا من القصور المشيدة و الجواري و غيرها و" بعد أن عاد الشاعر ابن خفاجة إلى رشده في سنواته الأخيرة انصرف عن الدنيا و زخارفها بعد أن كان يتردد دهرا على أبواب اللهو و الملذات فنراه يطالعنا بإنسانيته و حكمة زهدية مبسطة مؤداها أن العمل الصالح في هذه الدنيا الفانية هو خير زاد ينفع صاحبه يوم الحساب "[3] فيقول :

ألاَ قصر كلُّ بقاء ذهابُ و عُمرانُ كلَ حَياة خرابْ
و كلٌ يدَانُ بما كان دَانَ فثّم الجزاءُ و ثم الحسابْ
فلا تُجرِ كفَّك في مهرقٍ كما لا يسرُّ هناكَ الكتابْ

[1] –عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس ، ص 224.

[2] –عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد ، ديوان بن حمديسي ، صححه إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ص65 .

[3] –محمد عبد الرحمان محمود ، شعر الحكمة و الزهد في عصر الطوائف ، ص 39.

فإنَّك يوما مجازى به و إنَّ يدا كتبته ترابْ
ولا خِطّة غير إحدى اثنين: فإما نعيمُ وإما عذابْ [1]

فالشاعر يعترف بهوان الدنيا الفانية أمام حقيقة الحساب و الجزاء ، فمن الشعراء الذين كان لهم مواقف في حياتهم نذكر أبي إسحاق الألبيري فالقناعة عنده لا تصدر عن فقر و عوز و حاجة، و إنما عن إيمان بالعيش البسيط في قوله :

قالوا ألا تستنجدُّ بيتَا تُعجبْ من حُسنهِ البيوتْ
فقلت ما ذلكم صوابُ خَفشٌ كثيرُ لمن يموتْ
لولا شتاءٌ و لفحُ قيظ و خوفُ لصِ و حفظ قوتْ
و نسوةٌ يبتغين ستِّترا بَنيتُ بنيانَ عنكبوتْ [2]

فمثل هذه المواقف من الشعراء تزيد في قوة الإيمان لدى الناس باعتبارهم يميلون أكثر إلى الماديات و إغفال الجانب الآخر،" فعلى العاقل الحكيم أن لا ينخدع بإقبالها عليه فهي لا تلبث أن تدير ظهرها و تدير عنه فما هي إلا متاع الغرور فليعتبر الإنسان و يتغط من دراسة تاريخ الأمم و الأقوام السابقة "[3].

لعل أيضا أن بعض الزهاد كان زهدهم متأخرا بسبب الشيخوخة،" فهذا هو الشعور الذي يدفع إلى التقوى و الإقلاع عن الذنوب و التوبة إلى الله و تذكر الآخرة و هو أمر طبيعي يستوي فيه الأندلسي و غير الأندلسي" [4]و من بين أولئك الزهاد نجد ابن حمديس الصقلي الذي يتحسر على ما مضى فيقول :

وَعِظت بلمتك الشَّائبة و فُقد شَّيبتك الدَّاهبة
و سَبعِينَ عاما ترى شُمسها بعينك طالعَة غارّبة
فَويحك هل عبرتْ ساعة و نفسك عن زلةِ راغبة [5]

---

[1]–ابن خفاجة ، ديوانه ، تحقيق عبد الله سنرة بدار المعرفة بيروت ، لبنان ، ص 50.

[2]– الألبيري ، الديوان : تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ط1 ، 1411 ، 1991، ص70 .

[3]– المرجع السابق ، ص 86 .

[4] –سعد شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، دار مصر للطباعة القاهرة 1978 ، ص 504 .

[5]– ابن حمديس ، ديوانه ، تصحيح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1960 ، ص 40 .

اذن فزهد الشعراء كان إيجابيا بامتياز أدى ذلك إلى تغليب الجانب الروحي على الجانب المادي من خلال مواقف الشعراء و سواء في تقدم في السن أو التوبة من الذنوب أو ذم الدنيا .

فشعر الزهد في الأندلس كانت له عوامل أصلته وجعلته قويا منها عوامل دينية وسياسية واجتماعية ذاتية وبذلك كان لنزعة الزهد قيمة روحية امتاز بها أعلام الأندلس.

الفصل الثانـــي: موضوعـات شعر الزهد عند الألبيري

1- التذكير بالموت

2- ذم الدنيا

3- الجنة و النار

4-الحث على العلم والانصراف عن الملذات:

5- الشيب والشباب

6- محاور أخرى

6-1: ذم حياة الملوك

6-2 التوبة من الذنوب

6-3 الدعـاء والابتهـال

6-4 الدعوة إلى القناعة والكفاف

6-5 الإيمان بالقضاء و القدر

تمهيد:

لقد تعددت الموضوعات الزهدية في ديوان الألبيري و أخذت حظا وفيرا ، في ظل البيئة التي عاش فيها في عصر كثرت فيه المتع والانغماس وراء الملذات والصراعات و الفتن غير ذلك ففي ديوانه دعوة إلى الزهد و محاولة تغيير السلوك الإنساني و" قد يكون في قصائده الزهدية تذكير و وعظ و تخويف من الموت و نصح بالتخلي عن المال و الجاه ، لكن ذلك لا يقف أبدا في مقابل العنصر الذاتي و التلوم النفسي و استشعار الانقسام بينه قوة الموت و حب الحياة في كثير من قصائده عندي أن الألبيري قد وصل شعره الزهدي في الأدب العربي لا في الأندلس فحسب إلى قمة بما أضفى عليه من حرارة الوجد و الإنفعال و الإقرار بالضعف الإنساني أمام مغريات الحياة ، ومكافحة الشهوة العارمة"[1] في ظل هذه الحياة فقد كان للألبيري كلمة مسموعة من خلال قضية جوهرية تتمثل في المظاهر السلوكية للإنسان و محاولة تهذيبها و إعطاءها رؤية دينية ، ففلسفة الزهد كامنة في الإسلام نفسه ، و من هنا فقد احتوى شعر الزهد عند الألبيري موضوعات كثيرة المتعلقة بالتذكير بالموت و ذكر الدنيا و ملذاتها و التنفير منها ، ثم الحديث عن الشباب و الشيب كلها موضوعات نستحضرها من خلال أشعار الألبيري .

1 –إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، دط،دت، ص110.

1- التذكير بالموت :

لقد حرص الألبيري كل الحرص على ذكر الموت و أهوالها لأنها المصير المحتوم لكل إنسان، حيث نبه إلى الموت و أن لابد منه، والتذكير بالآخرة الآتية لا محالة فالدنيا ممر و ليست مقر ، و من شعره :

تُغازِلني المَنَية من قريبِ و تَلحَظُني ملاحظة الرَّقيبِ
وتنشرُ كِتاباً فيه طَيِّي بِخطِّ الدَّهر أسطرُهُ مشيبِي
كتابٌ في معانيه غموضُ يلوحُ لكل أوَّاب مُنيبِ[1]

فالألبيري يعتبر الموت قدر محتوم ، فقد حكم الله تعالى على كل نفس مهما عاشت بتذوق الموت، حيث يقول الله تعالى «**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**»2

إن فكرة الموت هي ذلك المصير المحتوم للإنسان فنجد الألبيري يقول :

أنَتَ مثل السِّجل ينشرُ حينا ثم يطوى من بعد ذاكَ جحيمْ
كيفَ يلتذُ بالحياةِ لبيبُ فوقَتْ نحوه المنَية أسهمْ
ليسَ يَدرِي متى يُفاجِيه مِنها صَائبٌ يقصفُ الظهُورَ و يقصِمْ[3]

إن الألبيري يتعجب" من الذين يتلذذون ويسعدون بالحياة غافلين عن مصيرهم المحتوم (الموت) مع علمهم بأنه يتربص بهم، فالموت كحامل سهم يفاجئ و يرمي بسهامه في أية لحظة"[4].

فالموت حقيقة تصيب الإنسان المؤمن كما تصيب الكافر و يواصل الألبيري من ذكره للموت إذ يقول :

نحنُ في منزل الفناءِ و لكن هو بابُ إلى البقاءِ سلمُ
ورحى الموتُ تستديرُ علينا أبدا تطحنُ الجميع و تهشمْ

---

[1]- أبو إسحاق الألبيري ، الديوان، ص37.

[2]-سورة آل عمران ، الآية 185.

[3]- المصدر السابق ،ص58.

[4]- كريم الباجلاني ، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي ، عصري الخلافة والطوائف،المكتبة المركزية ، جامعة الأنبار.دار غيداء للنشر و التوزيع ط 1 ، 2013 ، ص 222 .

و أنا موقنٌ بذاك عليمُ و فِعالي فعالُ من ليس يعلمْ
و كذا أمتطِي الهُوينا إلى أن أُتوقَّى فعند ذاك أندمْ[1]

إن الشاعر يقرر حقيقة الموت بأنه حتم على البشر يصيب الجميع ، فهو كالرحى تدور فتطحن كل من يقف أمامها و هو الباب لحياة أخرى هي في الحقيقة دار البقاء و الخلود والشاعر يوقن بهذا الأجل و حتمية الموت، إلا أن أفعاله وطلبه للدنيا ولهوها؛ فيها يذل على غير ذلك هي غريزة حب البقاء، "فقيمة الحياة عند الإنسان و شعوره بالجمال يفوق أحيانا تيقنه و علمه بالبقاء"[2] و لا ينفع الندم يوم الندم و قد كان ترك الدنيا و هجرها و التخويف من الموت وسيلة لتذكير الناس و تنبيههم عن غفلتهم تعبر عن مصيرهم المحتوم الذي لا بد من لقائه ، قال الله تعالى « **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**»[3] .

أبو إسحاق زاهدُ آمن بالموت و مقبل عليها و قد أكد أن الموت حق و أن الدنيا معبر للآخرة فنراه مستعد بنفسه يذكرها الحقيقة فيقول :

كأنِّي بنفسِي و هي في السَّكراتِ تُعالجُ أن تَرقَى إلى اللهواتِ
وقد زمّ رحلي و استقلّت ركائِبي وقد آذنتني بالرحيل حُداتِي
إلى منزلٍ فيه عذابٌ ورحمةٌ و كمْ فيه من زجرٍ لنا و عِظاتِ
و من أعينٍ سَالت على و جَناتِها و من أوجهٍ في التراب مُنعفراتِ[4]

يذكر الشاعر سكرات الموت" التي آذنته بالرحيل و نهاية العمر حيث الروح تتجه إلى مخرجها و قد زم رحله و استقلت ركائبه وبدأ حاديه ينادي بانطلاق الخطوات الأخيرة

[1]- الألبيري ، الديوان ، ص 57،58 .
[2]- الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي عصر الخلافة والطوائف ، ص 2 .
[3]- سورة الجمعة الآية 08 .
[4] -الألبيري الديوان ص 60 .

للحياة و قد كانت السكرات إنذار لذلك و مهما حدنا عن هذه السكرات إلا أنها الأقدار"[1] حيث قال تعالى :« **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** » [2] .

و تنتهي رحلة الحياة الدنيا كما صورها الألبيري في قصيدته" **لتبدأ رحلة** جديدة هي الآخرة و أول معالمها القبر" [3] فإما أن يكون كما قال النبي صلى الله عليه و سلم «**إنما** القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر **النار**[4] » اذا يقول

و يَحملُني إلى الأجداثِ **صحبي** إلى ضيقٍ هناك أو إنفساح

فأُجزى الخيرَ ان قدّمت خيرًا و شرًا إنْ جُزيت على اجْتراحِي[5]

كما يحدرنا الألبيري من الموت المفاجئ الذي يدهمنا أثناء استغراقنا في الحياة الدنيا و يدعو الإنسان إلى اليقظة و الحذر، و إلى أن يحسب حساب الموت و الآخرة التي وراءه فقال :

كَمْ آمِنٍ للمنون لاهٍ عن الردى باتَ مطمئنًا

صبحة وَافِدُ المنايَا فعاين الموت حين عنَّا

حتى إذا ما قضى بكاهُ حميمة معولا مَرنَّا

وأُروه في لحدهِ و سَوّوا عليه قيد التُّراب سنّا

و انتهبُوا ماله وشُنوال غاراتِ فيما حواهُ شنًّا

لِمثل هذا فكن معدًا ما قد أعدّ الهداةُ مِنَّا

و ارتقبْ الموتَ فهو حتمٌ يخترمُ الطفلَ و المسنَّا[6]

فالشاعر يذكر بالموت و" أن الموت تأتي على الصغير و الكبير، فإذا ما وراه أصحابه في لحده و رجعوا نهبوا ماله و أخذوا يقتسمون ما وراءه من متاع ، لذلك يحذر من هذه

---

[1]- يوسف شحدت الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، الجامعة الإسلامية دط،2010 ،ص 108 .

[2]- سورة ق الآية 19 .

[3]-الألبيري، الديوان ، ص نفسها.

[4] -أبي الحسين المسلم ، المسند الصحيح المختصر من السنن ،ج2ص 866 .

[5] -المصدر السابق ،ص49.

[6] -المصدر نفسه، ص142.

الغفلة عن الموت التي تداهمنا في كل وقت ، و يدعو للإعداد لهم كم أعد لها الصالحين و الهداة اللذين سبقونا و أن تبقى على استعداد للموت لأنه حتمي على كل إنسان سوى كان طفلا أو شيخا لقوله تعالي «**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**»[1]، فأبو إسحاق الألبيري في مقطوعته الشعرية التالية يطلب الرجاء من إخوته أن يطلب له النجاة من العذاب بالقيام لله تعالي و الدعاء له لعل الله يقبله أن يكون خالصا لله سبحانه و تعالى حيث يقول :

ما يعرفُ الإنسانُ أين وفاتُهُ ... أفي البر أم في البحر أم بفلاةِ
فيا إخوتي مهما شَهدتم جنازتي ... فقومُوا لربي و سألوهُ نجَاتِي
وجِدُّوا ابتهالا في الدعاء و أخلصُوا ... لعل إلهي يقبلُ الدعواتِ
وقولُوا جميلا إن عملت خلافهُ ... وأغضُوا على ما كان من هَفواتِي
و لا تصِفونى للذي أنا أهلهُ ... فأشقى و حلوني بخيرِ الصفاتِ[2]

هناك حقيقة أن الإنسان لا يدري أين يموت و متى يموت في قوله تعالى:« **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** »[3].

و هو دليل على إيمانه العميق بأن الموت حقيقة الإنسان، فلا بد للإنسان أن يعد العدة للخاتمة لقوله تعالي «**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**»[4].

و يرى الشاعر أن الموت أسقط لذاته واحد تلوى الأخر، و شارك في حملهم و شهد دفنهم ، و كأنه غير شاهد إذ يقول:

تمُرُ لذاتي واحدٌ بعد واحدٍ ... و أعلم أني بعدهم غير خالدٍ
وأحمِلُ موتاهم و أشهدُ دفنهم ... كأني بعيدٌ غيرَ شاهدٍ
فها أتاني في علمي بهم و جهالتي ... كمستيقظٍ يرنُوا بمقلةِ راقدٍ[5]

---

[1] -سورة آل عمران، الآية 185 .

[2]- الألبيري، الديوان ص 63 .

[3]- سورة لقمان الآية 34 .

[4]- سورة المطففين ،الآية 26.

[5]- الألبيري، الديوان ص 138 .

و قد حرص الألبيري أن يذكر بالموت و أهواله و أن يظهر سطوته و قوته على أهل الأرض مهما كانت قوتهم و عظمتهم فشتانا بين اليوم و الغد بين حياة نعيمة مترفة في الدنيا و بين مصيره عند الموت إذا كان مقصرا يقول في ذلك :

و من مَلِكٍ كان السرورُ مهادُهُ مع الآنسات الخُرَّدِ* الخَفِرات
غدا لا يذود الدود عن حرِّ وجهِهِ و كان يذُودُ الأُسدِ في الأجماتِ
و عُوِّضَ أُنسًا من ظِباءٍ كناسِه وأرآمِهِ بالرُّقشِ* و الحَشَراتِ[1]

لقد تدرج الشاعر في صياغته لدلالة الموت وتحول مصير الانسان من الماضي السعيد إلى المستقبل المخيف من خلال الألفاظ التي تحي بدلالتها عن الترهيب و التوحش «الدود ، الرقش ، الحشرات» من خلال التميز بين الدنيا و القبر و حالة الإنسان المترف و المنعم في الدنيا و بين مصيره الحتمي في القبر، و عن ابن سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال «إن الدنيا حلوة حاضرة و ان الله تعالى مستخلفكم فيها فينظروا كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[2] رواه مسلم.

فالحديث يدل على مصير الإنسان، و إن الله عز وجل خلق الإنسان ليعبده و يتقيه حتى يجازى على هذا العمل.

2- ذم الدنيا :

قال تعالى: «**وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**»[3].

إن حب الدنيا و الإقبال عليها و الاغترار بها شيء زائد، أما الآخرة والإيمان هي حقائق يتتبعها الإنسان من أعماقه يقول الألبيري :

كُلُّ امرئ فيما يدينُ يدانُ سُبحانَ منْ لمْ يخلُ منه مكانُ
ياعامِرَ الدنيا ليسكنها و ما هي بالتّي يبقى بها سكانُ

---

* الخرد : جمع خريدة و هي البكر أو الحفرة .

* الرقش جمع الرقشاء و هي الحية .

[1]- الألبيري،الديوان، ص 60 .

[2]- محي الدين بن يحي شرف الدين النووي،رياض الصالحين،طبعة منقحة ،بيروت،2006،ص160.

[3] -سورة القصص،الآية ،60

تفنى و تبقى الأرضُ بعدك مِثلما يبقَى المُناخ وترحلُ الركبانُ*
أأسَرّ في الدّنيا بكلّ زيادة و زيادتِي فيهَا هي النّقصانُ "[1]

هذه الأبيات تدور حول حقيقة الموت و عدم الخلود في الدنيا فهي تنبيه و تخدير فالبيت الأول فيه مثل في شطره الأول «كما تدين تدان» و الله عز وجل فكل مكان لا يحده ومكان و لا زمان ،و البيت الثاني يذكر فيه أن الدنيا فانية يعمرها الإنسان قليل من الزمن ويمضي سريعا، قال تعالى:« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »[2]، تتناص هذه القصيدة مع قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس حيث يقول فيها :

لكل شيءٍ إذا ماتم نُقصانُ فلا يغَرّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتهَا دولٌ من سرّهُ زمنٌ ساءتْهُ أزمانُ
وهذهِ الدّارُ لا تبقي على أحدٍ و لا يدومُ على حالٍ لها شانُ
يمزّق الدّهرَ حتمًا كل سابغةٍ إذا لبت مُشرفياتُ و خُرصانُ[3]

وينفى الشاعر الأمومة عن الدنيا لأنها قليلة الحياء تأكل وليدها بعد الميلاد فالأم الحقيقية التي عهدها الناس تتلطف مع أبنائها وتوليهم ورعاية عطفا و حنانا "أما هي فقاسية تهشم ما فوق ظهرها من قاطن او ظاعن و هي سراب بلا أمل ، وداء كامن بين الضلوع بلا دواء"[4] و يواصل الألبيري فيقول:

لا كُنتِ من أُمّ لنا أكالةٍ بعد الولادَةَ ما أقلّ حياكِ
و لقَد عَهدنَا الأُمّ تلطِفُ بابنهَا عطفًا عليه و أنتِ ما أقساكِ
ما فوق ظهرك قاطنٌ أوظاعنٌ إلا سَيهشُم في ثقال رَحاكِ
أنت السّرابُ و أنت داءٌ كامنٌ بين الضّلوع فما أعزّ دواكِ [5]

---

* المناخ : مبرك الإبل ، الركبان : جمع راكب ، وهو الذي يعلو ظهر البعير .

[1]- الألبيري، الديوان ص 140 .

[2] -سورة الرحمان،الاية 26، 27.

[3] - الطاهر مكي ، دراسات أندلسية في الأندلس ، دار المعارف في القاهرة ، مصر ط1 ، 1980 ، ص 318 .

[4]- يوسف شحدة الحكلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي ،عصر ملوك الطوائف ،ص 96 .

[5]- الألبيري ، الديوان ، ص 41 - 42 .

فالشاعر يري بأن متاع الدنيا زائل و خيرها قليل وأمانيها زائفة ، "وقد تناول هذه المعاني الألبيري الذي يرى الدنيا لا تساوي شيئا يذكر ، فإنها تسوء تارة و تسر تارة أخرى و لو فكر فيها الإنسان ، فلا تجدها سوى فيء أوحام"[1] فيقول :

فليسَّت هذه الدُّنيا بشيءٍ تسوؤك حقبةٌ و تسُر وقتَا
وغايتها إذا فكرت فيها كفيئِك أو كحلِمك إن حملتَا
سُجنت بها و أنت لها محبٌ فكيف تحبُّ ما فيه سجنتَا[2]

ولما مرض الفقيه أبو إسحاق دخل عليه الوزير أبا خالد هاشم و"كان من عظماء أهل ألبيرة و حليتهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد بإسحاق في مرضه ، وعدله على رداء مسكنه ، وقال له لو سكنت دارا خير من هذه لكانت أولى لك "[3].

فأجابه رحمة الله عليه بقوله:

قالُوا ألا تَستزِيدُ بيتَا تَعجبُ من حُسْنِهِ البيوتْ
فقلتُ ماذاكم صوابُ خفشٌ كثيرٌ لمن يموتْ
لولا شتاءٌ و لفحُ قِيظِ وخوفُ لصٍ و حَفظ قوتْ
و نِسوة يبتغين سِترا بنيتُ بنيانَ عَنكبوتْ [4]

فالشاعر يقيم حوارا مع زائريه ،الذين لم يعجبهم البيت المتواضع ولاموه على ذلك ،في حين أن أبي إسحاق الألبيري مقتنع كل الاقتناع بهذا البيت الصغير، فلولا الشتاء و الحر و الخوف من اللصوص و حفظ الطعام و النسوة اللاتي يردن الستر لكان بيته كبيت العنكبوت، فاستمد هذا المعنى من القرآن الكريم في قوله تعالى «**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»[5] و في نظر الشاعر هو" التنفير من الانغماس في الدنيا و الدنيا عنده عدو

---

[1]- المرجع السابق، ص 96 .

[2]- المصدر السابق، ص 29.

[3]- لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، مكتبة الخانجي ،ط 1 ،ص 317 .

[4]-الألبيري ، الديوان ، ص 70

[5]- سورة العنكبوت ، الآية 41

شرس يتخايل الإنسان في صورة مغرية مغوية ، و الذكي السعيد هو الذي لا يخضع لإغراء منها أو الإغواء في الدنيا لا يأسف على شيء منها"[1] يقول :

ما أسى على الدنيا و لكن على ما قد رَكبتُ من الذنوبِ
فيا لَهفي على طولِ اغترَارِي و يا ويحِي من اليومِ العصيبِ[2]

فأمام هذه المعطيات عن الدنيا التي لا تساوي شيئا ، فالشاعر يخشى على نفسه ارتكاب المعاصي و الذنوب ،حيث قال رسول الله صلى الله عيه وسلم «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»[3] ينحني بالأئمة على الدنيا "ويراها تحمل ضغينة و حقدا للعاقل ، و تميل للأحمق لذلك يدعو عليها ، و يمنى أنها لا كانت و لا وجدت "[4] فقال :

لا غارت الدنيا و لا أنجدتْ فالعاقل الحُرّ بهَا مُمتحنْ
تميلُ للأحمق من أهلهَا و هَيَ على عاقلهم تضطغنْ "[5]

5"

و وصفها الشاعر بالغدر لمن يركنون إليها و يفيئون لملذاتها فإنها تسحقهم بلا رحمة و لا هوادة سحق الرحى ، فتحليهم و ديارهم إلى الهلاك[6] فقال :

و هجرت دنيا لم تزل غدّارة بمؤمليهَا الممحِضينَ لها الوَفا
سَحقتُهمُ و دَيارُهم سحق الرّحا فعليهمُ و على دِيارهم العَفا"[7]

و الدنيا تناديه فيعرض عنها :

نادتْ بي الدنيا فقلتُ لها اقصري ما عدّا في الأكياسِ من لباكِ
ما زَالت خادعتِي ببرق خابِ لو اهتديتُ لما انخَدعت لذاكِ"[8]

---

[1]- محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، ص 89 .

[2]- -الألبيري ،الديوان،ص135.

[3]- محي الدين بن يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين ، ص 164 .

[4]- يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص97.

[5]- الألبيري ، الديوان ، ص 116 .

[6]- المصدر نفسه، ص 97 .

[7]- المصدر نفسه ، ص 52.

[8]- الألبيري، الديوان، ص 40 - 41 .

استهل الشاعر بحوار بينه و بين الدنيا خادعة الغرور تناديه الدنيا ليقبل عليها ، و لكنه يرفض الدنيا و زينتها و زخرفها ، و استمد هذا المعنى من القرآن الكريم في قوله تعالى: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**»[1] ويمضي قائلا :

و جَلالُ ربِّي لو تصحُّ عَزائِمي ... لَزهدت فيكَ ولابتغيتُ سِواكَ
و أخذتُ زَادي منك من عَمل التقَى ... و شددت إيمانِي ينقصُ عُرَاكَ
وحَططتُ رحلِي تحت ألويةِ الهُدى ... و لما رآني الله تحتَ لِواكَ[2]

لقد أقسم للدنيا أنه لو صحت عزائمه و استطاع أن يتحكم في نفسه لزهد فيها ،وأخذ منها من العمل الصالح و التشديد على الإيمان بالله تعالى لقناعته الكبيرة بعدم فائدة الدنيا و يشن الألبيري "حربا شعواء على الدنيا و قد اسعفته عباراته فخرجت هذه الغضبة القوية لتحدث التوجه السلوكي المنشود و التعبير الأخلاقي المطلوب في نفس المغتر،"و يضرب بنفسه بذلك ،حيث يبصق في وجه الدنيا و يهجرها و يدفعها براحة و سوف يصحو من سكرته فيها ، و يترك نساءهن الحسان و يصرف همته لدار السعادة و النجاح" [3] فقال : :

فابصقُ في محيَّا أمِّ دفرٍ ... و أهجُرَهَا و أدفعُها براحِي
و أصحُو من حميَّاها و أسلُو ... عفاقًا عن جآدرها الملاحِ
و أصرف هِمَّتي بالكلِّ عنها ... إلى دارِ السَّعادة و النجاحِ[4]

فالحياة الآخرة هي حياة النجاح و الفلاح عكس الزائلة و الزائفة و هي حياة الدنيا "وكان تركيزه على ذم الحياة مناسبا للأحوال الاجتماعية في زمن اضطربت المعايير فيه وانغمس الناس في دنياهم، من كان ذا مال فإنه يطلب المزيد و يسرف في الشهوات ومن قصرت حالته جعل همه في دنيا يصيبها على أي حال "[5] .

---

[1]- سورة فاطر ، الآية 05.

[2]- المصدر السابق ، ص 43.

[3]- يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 102 و 103.

[4]- الألبيري ، الديوان ، ص49.

[5]- المرجع السابق،ص102-103.

بنظرة الألبيري إلى الدنيا و هي نظرة مريحة فهي محاولة للإصلاح الإجتماعي و تعديل الكفة القوية على الكفة الضعيفة لأن المال و الشهوات لا تساوي شيئا بقدر أن الإنسان يعمل جاهدا للفوز بالآخرة أكثر من الدنيا .

3- الجنة و النار:

إن القلق الذي ينتاب الإنسان هو مصيره بعد هذه الحياة التي بعدها تصيب المؤمن كما تصيب الكافر و لا تختص بجنس مخلوق دون آخر و لا شك أن الوقوف بين يدي الله عز و جل للحساب موقف جليل مهيب تقشعر منه الأبدان ، و قد جعل الله الجنة مقر للذين اتقوا الله ، يقول تعالى :« **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**»[1].

و قد جعل الله النار للظالمين و الكافرين قال تعالى : «**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**»[2]

فالألبيري الزاهد تناول موضوع النار في شعره أكثر من غيره من الشعراء فهو مثلا "يرى أن الذي يفر من الهجير كان أولى به أن يفر إلى جهنم التي لا يطاق أهون عذابها بل الإنسان لو كان حديدا لذاب من هول النار و شدتها ، لذلك فإن أمرها جد صعب ليس كما يظن الغافل" [3] فقال :

تَفِرّ من الهجِيرِ و تتقيهِ ... فهَلا عن جهنّمَ قد فررتَا

و لسْتُ تُطِيقُ أهْوَنها عذابًا ... و لو كنتَ الحديدَ بها لذُبتا

فلا تُكذب فإن الأمرُ جِدّ ... و ليسَ كما احتسبتَ لا ظَنَنتا[4]

فالألبيري خرج "عن قواعد القافية المألوفة حيث كرر في قصيدتين كلمة واحدة في القافية و القصيدة بناها على لفظ الجلالة بلغت ثلاثة و خمسين[5]" بيتا يقول فيها :

---

[1]- الحجر الآية 45-46-47-48.

[2]- البقرة الآية 24.

[3]-يوسف شحدة الكحلوت،الأخلاق الإسلامية عصر ملوك الطوائف عصر ملوك الطوائف،ص124.

[4]- الألبيري ،الديوان،ص33

[5]- محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط 1 ، ص 92 .

يا أيها المغترُّ باللهِ فرَّ من الله إلى اللهِ
و خُذ و اسألهُ من فضلهِ فقد نجَا من لاذ باللهِ
و قُم له و الليل في جنحهِ فحبَّذا من قام للهِ
واتلُ من الوحي ولو آيةٍ تكسى نورًا من اللهِ [1]

يبدأ الشاعر بخطاب إلى كل إنسان مغتر و مقصر في حق الله سبحانه و تعالى ويدعوه إلى الرجوع إلى الله ، ويلوذ به و يؤدي حق العبادة و يتوب من الذنوب بقيام الليل و قراءة القرآن ثم يواصل الشاعر :

لا جاهٍ إلا جاه يوم القضَّا إذ ليس حكم لِسِوَى الله
و صَار من يُسْعد في جنةٍ عالية في رحمةٍ الله
يَسكنُ في الفردوس في جنةٍ من لؤلؤ في جيرَة الله [2]

إن المتأمل في الأبيات يجد الألبيري في حالة إنجداب نحو الله عز وجل فلا يوجد حكم إلى حكم الله ،فالسعادة الحقيقية هي الفوز بالجنة الفردوس الأعلى بجوار المولى ، فتكرار لفظ الجلالة على عظم يوم الحساب، و أن الإنسان يجب أن تكون أعماله صالحة والتخلق بالخلق الحسن لوجه الله تعالى .

من منطق التخويف و الترهيب اتجه الشاعر إلى ذكر أوصاف النار و وصف الكافر في ذلك اليوم العظيم و في القصيدة الآتية كلها تنتهي بلفظ النار ، حتى بلغت ثمانية وثلاثين بيتا يقول :

ويلٌ لأهل النار في النار ماذا يقاسون من النَّار
تنقد من غيظٍ وتُغلى بهم كمرجل يُغلى على النار
فيستغيثونَ لكي يعتبُوا ألا لعًا من عثرة النار
و كلهم معترفٌ نادِمُ لم تُقبَل التوبة في النار[3]

[1] -الألبيري، الديوان ، ص 85 – 86 .
[2] - الألبيري،الديوان، ص 86 .
[3] - الألبيري ،الديوان ،ص 101 .

في الأبيات تصوير لمشاهد عذاب أهل النار و ما يقاسون فيها و هي تميز عليهم من الغيظ و تغلي لهم كمرجل يغلي من النار قال تعالى : «**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**»[1].

فتكرار كلمة النار جاءت لما يختلج في نفس الشاعر من خوف و قلق بما يخبئه له القدر و يصور مشاعر حال الأشقى الذي يهوي في النار على رأسه، فهو تارة يطفوا على جمرها و تارة يرسب في قعرها و كلما أرادوا الفرار فر من النار إلى نار، يطوف من أفعى إلى أفعى أخبث منها حيث سمها يفوق قوة النار "[2]، حيث استنصص الشاعر هنا المعنى من القرآن الكريم في قوله تعالى:«**فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى**»[3] **فقال :**

يَهوى بها الأشقى على رأسه فالوَيلُ للأشقَى من النار
فتارة يطفُو على جمرِها و تارة يرسَب في النار
و كلما رام فِرارًا بها فر من النار إلى النار
يطوف من أفعى إلى أرقِم و سُمها أقوى من النار
وكم بها من أرقِم لا ينِي يُلسَعُ من يسْحَبْ في النار[4]

و يواصل الألبيري تصويره لحال أهل النار و ما يعانونه من مشاق العذاب فيقول :

لا راحة فيها و لا فترة هيهات لا راحة في النَّار
أنفاسها مطبقة فوقهُم و هكذا الأنفاسُ في النار
سُبحان من يمسك أرواحهَم في الدرك الأسفل في النار
و لو جبالُ الأرض تهوَي بها ذابت كذوب القِطر في النار[5]

فالشاعر يستبعد كل راحة في النار بذكر ألوان من العذاب الموجودة في النار ، ليلجأ الشاعر إلى الله بالتسبيح للذات الإلهية ، ليبين عظمة الله في التحكم و السيطرة على

---

[1] - المصدر نفسه، ص 102.

[2] -يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 125.

[3] -سورة الليل الآية 14-15.

[4] - الألبيري ، الديوان ، ص 102.

[5] -الالبيري،الديوان، ص ن.

الكون ، و يقبض الأرواح في الدرك الأسفل من النار ، فلولا جبال الأرض وضعت بها فإنها تذوب كالنحاس و تكفل الشاعر بمهمة المرشد و الناصح في التحذير من النار والدعوة إلى ممارسة كل ما يقرب الإنسان من الفوز بالجنة فيقول :

يَا أيُّها النّاس خُذُوا حذركم و حصّنوا الجنّة للنّار
فإنها من شرّ أعدائكُم ما في العدا أعدَى من النّار
و أكثِرُوا من ذِكر مولاكُم فذكرهُ يُنجِي من النّار[1]

ويعجب الشاعر من الذين يمرحون و يلعبون و يلهون و لا يحفلون بمصيرهم الذي سيؤول إلى النار من علمهم بخطرها و شدتها و كأنهم بموقفهم هذا و عدم رعايتهم يرتابون بها ، و لو كانوا أكياسا لما وقفوا هذا الموقف الخاسر"[2] فقال :

و أعجَبًا من مرح لاعِبٍ يلهِو و لا يَحفلُ بالنّار
يوقن بالنّار و لا يَرعَوِي كأنه يرتابُ في النّار
و هو بها في خطر بيِّن لو كاسَ ما خاطر بالنّار"[3]

ويحذر الشاعر بلهجة خطابية فيقول :

و الله لو أعقل لم تكتحل بالنّوم عيني خيفة النّار
و لا رقادَ معِي و لا عِلْم لي أنّي في أمنٍ من النّار
و لم أرِدْ ماءً و لا ساغ لي إذا ذكرت المُهل في النّار
و لم أجد لذّة طعمٍ إذا فكرتُ في الزّقُّوم في النّار
أي ألتذاذٍ بنعيم إذا أدّى إلى الشّقوة في النّار
أم أيّ خير في سرور إذا أعقب طول الحُزْن في النّار[4]

يقدم الألبيري نفسه مثالا حيا في الخوف من النار و في عذابها ، فهو يتحسر على نفسه في ضياع حياته في الطعام و النوم و الهناء و السرور، بينما عذاب النار سيكون

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 103.
[2]- يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 127.
[3]- المصدر السابق ، ص 103.
[4]-الألبيري، الديوان ، ص 103- 104.

للمتهاونين و المفرطين بحق الله ، و يرى الألبيري أن الإنسان ليس أمامه بعد هذه الحياة سوى دارين ، و أنه لا مجال مقيم في إحداها إذ يقول :

دارين لا بدّ لنا منهما بالفضل و العدل من اللهِ
و لستُ أدري منزلي مِنهمَا لكن توكلتُ على اللهِ
و أسوأتا إن خاب ظني غدًا و لم تسعني رحمة اللهِ
و كنت في النار أخا شقوة نعوذ بالله من ذلك باللهِ
كم سوءةٍ مستورةٍ عِندنا يكشفُها العِرضُ على اللهِ
في مشهدٍ فيه جميع الورَى قد نكسوا الأذقان لله [1]

فالشاعر يتساءل في حيرة عن منزله بينهما ، ثم يتحسر عن سوأته " إن خاب ظنه وغدا غير مشمول برحمة ربه ،و كان في النار شقيا وغدت السوءات مكشوفة أمام الله في مشهد يقف فيه جميع الخلق ناكسوا رؤوسهم أمام خالقهم"[2]، لقوله تعالى «**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**»[3].

أي يسقطون بسرعة على وجوههم ساجدين تعظيما لله تعالى و شكرا له .

ثم يختم بحديث الفائز ذلك اليوم بحمد الله تعالى على نعمة الاسلام يقول :

و كم ترى من فائزٍ فيهم جلله سِتْر من اللهِ
فالحمدُ لله على نعمة ال إسلام ،ثُمّ الحمد للهِ[4]

---

[1]- المصدر نفسه ص 79 .

[2] - يوسف شحدة الكحلوت الأخلاق الاسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ،ص 128 .

[3]- سورة الإسراء الآية 106 .

[4] -الألبيري،الديوان،ص80.

4-الحث على العلم والانصراف عن الملذات:

لقد رفع الإسلام منزلة العلم و العلماء، فكان أكثر الناس خشية لله العلماء قال تعالى: «**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**»[1] ،و قد أعلى الألبيري من شأن العلم في هذه الدنيا و"قد فاضل بين العلم من جهة و المال والجاه من جهة ثانية و فضل العلم باستمرار وجعله المقدم في الدنيا و الآخرة [2]" .

و من ذلك قوله يخاطب شخصا يكنى أبا بكر :

أبا بكرٍ دعوتُك لو أجبتا ... إلى ما فيه حظّك إن عَقلتَا

إلى علمٍ تكون به إمامًا ... مطاعًا إن نهيتَ و إنْ أمرتَا

وتجلُو ما بعينك من عشاهَا ... و تهديك السَّبيل إذا ضللتَا

و تحملُ منه في ناديك تاجًا ... و يكسُوك الجمال إذا اغتربتَا

و كنزًا لا تخافُ عليه لصًا ... خفيفُ الحمل يوجدُ حيثُ كنتَا

يزيد بكثرة الإنفاق منه ... و ينقصُ أن به كفًا شددتا[3]

دعا الشاعر من كناه أبا بكر فهو خطاب عام إلى العلم النافع و السير في طريقه لأنه يهديك إلى السبيل الصحيح ، فهو تاج مرفوع في كل مكان ،فهو نافع في الحياة أو في الموت، فهو كنز لا تخاف عليه من اللصوص ، خفيف الحمل يزيد بكثرة الإنفاق وينقص بعدم الإنفاق منه، حيث قال الله تعالى في هذا الصدد «**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**»[4]

---

[1]- سورة فاطر الآية 27 .

[2]- محمد رضوان الداية ،في الأدب الأندلسي ، ص 87 .

[3] -الألبيري ، الديوان ص 25 .

[4] -سورة المجادلة الآية 11.

و قال الألبيري أيضا :

فلو قد ذُقت من حلواهُ طعمَا لآثرت التعلّم و اجتهدتَا
و لم يَشغلك عنه هوى مطاعٌ و لا دُنيا بزُخْرُفها فُتِنتا
و لا ألهاك عنه أنيق روضٍ و لا حدر بربريه كِلفَتَا
فواظِبه و خُذ بالجدّ فيه فإن أعطاكهُ اللهُ أخذتَا[1]

فالعلم له ذوق خاص ، و على الإنسان ألا ينشغل بهذه الدنيا و زخرفها ، و عليه الإنشغال بالعلم النافع لأنه غذاء الروح بالمواظبة و الجد و الدعاء لله بالعلم، لقوله تعالى: « **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** »[2].

و قال أيضا :

إذا لم يفدك العلم خيرًا فخيرٌ منه أن لو قد جهلتَا
وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ فليتك- ثم ليتك- .ما فهمتا
ستجني من ثمار العجز جهلاً و تصغُر في العيون إذ كُبرتا
و تفقد إن جهلت و أنت باقٍ و توجدُ إن علمتَ و قُدْ فقدتَا
و تذكُر قولتي لك بعدَ حينٍ وتَغْرِظُها إذا عنها شُغلتَا
إذا أبصرتَ صحبك في سماءٍ قد ارتفعوا عليك و قد سَفلتا[3]

فالشاعر يدعو إلى العلم الذي فيه الخير للإنسان فبالعلم النافع سيجني الثمار الطيبة عكس الجاهل الذي يجني ثمار الجهل و الإنسان بدون العلم كالميت بين الأحياء يفوقه أصحابه المنزلة العالية .

ثم ينتقل بعد مقارنة بين الجهل و العلم و بين المال و العلم فيقول :

و ليس لجاهلٍ في الناس معنًى و لو مُلكُ العراق له تأتّى
جعلتَ المال فوق جهلاً لِعمرُك في القضيَّة ما عدلتَا
و بينهما بنصِّ الوحي بونٌ ستعلمُه إذا طه قرأتَا

---

[1]- الألبيري، الديوان، ص26.

[2] -سورة، طه الآية 114.

[3] -المصدر السابق، ص 27.

و إن جلسَ الغنيّ على الحشايا لأنتَ على الكواكبَ قد جلسْتَا[1]

فالجاهل ليس له معنى في هذه الحياة و قد ضرب المثل بملك العراق لما هو واسع كثير من السلطة و الملك و من يعتبر أن المال مقدم على العلم فهو ليس عادلا في ذلك فهناك فرق شاسع بينهما فالإنسان في سورة طه يطلب الزيادة من العلم لقوله سبحانه وتعالى « **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** »[2]

إن إدراك الألبيري لمنزلة العلم و العلماء جعلته يتمنى أن يكون خادما عندهم ، و إن كان غير ذلك فلا قيمة لحياته ، فالفناء أفضل منها ،ويقر أنه قصر عنهم لانشغاله بالدنيا المليئة بالفتن و الملذات "[3] فقال :

يا ليتني كنتُ لهم خادمَا و ليتني إذا لم أكنْ لم أكنْ!

و من سواهم فرجال رجْوا أن يعبرُوا البحر بغيرِ سفن

و إنّما قصّر بي عنهُم حبّي لدارٍ ملئت بالفتن" [4]

و يقول أيضا :

فرأسُ العلمِ تقوى الله حقًا و ليس بأن يقالُ لقد رأسَتا"[5]

يبين أبو إسحاق الألبيري أهمية العلم الشرعي ، فهو العلم الحقيقي ، و ليس العلم هو الحصول على الرئاسة و المنصب و ليقال بأن فلان عالم فهو حقيقة عظيمة لكل إنسان يريد الإستزادة من العلم النافع ، لا العلم الذي يريد أصحابه الوصول إلى الألقاب و المراكز و محاولة جعل أنفسهم في مرتبة عظيمة .

و يرفع الألبيري من قيمة العلم فيقول :

لئن رفع الغنيّ لواءَ مالٍ لأنت لواء علمك قد رفعتَا

و إن جلس الغنيّ على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلسْتا

و إن ركب الجيادَ مسوماتٍ لأنت مناهج التقوى ركبتَا

---

[1]-الالبيري ،الديوان، ص 27-28

[2]- سورة طه الآية 114.

[3]- يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 377.

[4]- الألبيري ، الديوان ، ص 116.

[5] -المصدر نفسه ، ص26.

و مهما افترضَ أبكارا الغواني فكم بكرٍ من الحِكم افتضضتَا
و ليس يضرك الإقتارُ شيئًا إذا ما أنت ربك قد عرفتَا
فماذا عنده لك من جميلٍ إذا بفناء طاعته أنختَا[1]

إن معرفة الألبيري بهذه المنزلة الفريدة للعلم و أهله ، "جعلته يعقد مقارنة بين صاحب العلم و صاحب المال ليبرز تلك المنزلة الرائدة التي يحظى بها صاحب العلم "[2] فالمال من الملذات والشهوات، أما العلم فإنه هو الجانب الأخلاقي التي تنبع منه الأخلاق الحميدة و الإيمان العميق و التقوى الموجهة،"[3] .

فبالعلم يصل الإنسان إلى الدنيا و الآخرة فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم، و من أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم، والعلم هو الذي يجلب المال والمكانة الاجتماعية" قال الله تعالى « **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** »[4].

5- الشيب والشباب:

لقد نظر الإسلام إلى مرحلة الشيب على "أنها مرحلة الوقار والعفاف والاحترام فهو نذير بأفول الشباب وحلول الرحيل القادم ويظل الحديث الشيب و شكواه واردا في إطار القاسم بينه وبين الشعراء "[5] يقول الألبيري مقبحا العجوز المتصابي الذي غرته الدنيا، وهو نموذج سيء، ويذكر جهله و هو في أواخر عمره فقال:

ما أقبحَ الشيخَ إذا ما صَبا وفاقه الجهلُ عن اللهِ
و هو في العمر على بازلِ يَحملُه حثا إلى اللهِ
هلا إذا أشفى رأى شيبهُ ينعاهُ فاستحيَى من اللهِ

---

[1] - الألبيري ،الديوان،ص38.

[2] - يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 378.

[3] - عباس محجوب ، أصول الفكر التربوي في الإسلام،مؤسسة علوم القرآن، دار،دمشق، ،1987 ، ص 37.

[4] - سورة الزمر، الآية09.

[5] - عبد الله التطاوي ، حركة الشعر في ظل المؤثرات الإسلامية ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ص 162.

كأنما رِينَ على قلبِهِ فصارَ محجوبًا من اللهِ[1]

ففي الأبيات تعجب الشاعر من الشيخ المتصابي الجاهل عن الله و البعيد عن الدين، ثم صدره بعد ذلك لكبر سنه بالجمل التي بلغت من العمر الكثير ثم يصفه مثقلا بالذنوب أصبح محجوبا و مطرودا من رحمة الله .

وفي موضع آخر يرى الألبيري بأن التقدم في السن يستوجب على الإنسان أن يدفع نفسه إلى التفكير في أمور الآخرة فيقول :

من جاوز الستين لم يحمل به شغل بحمل الرباب وغادر

بلْ شغله في زادِه لمعادِه فالزاد آكدُ شغلُ كلّ مسافرِ[2]

فهذه حقيقة من بلغ الستين من عمره فلا ينبغي له الإنكباب وراء ملذات الدنيا،فلابد عليه أن يوفر الزاد ليوم الميعاد ،فعبارة لكل مسافر تعبر على حقيقة سفر كل إنسان من هذه الدنيا، لذلك ينبغي للإنسان التعقل، فالحرص على الأعمال الصالحة ليوم الميعاد.

فهو يواصل ذكر الشيب حتى أنه أن نفسه بالموت عندما أبصر الشيب بخط رأسه فقال:

بصرتُ بشيبةٍ وخطت نصيلي فقلتُ له تأهّب للرحيلِ

ولا يهُن القليلُ عليك منها فما في الشَّيب ويحكَ من قليل[3]

ينذر الشاعر نفسه عندما رأى الشيب على رأسه فيناجي نفسه للتأهب للرحيل فهو يحذر نفسه حتى من الاستهانة حتى القليل منه :

ثم يواصل فيقول :

ولا تحقِر بنذر الشيبِ واعلمْ بأن القطرَ يَبعثُ بالسيولِ

فكم من مفارقة تَغامْ* وأنجُمه على فَلكِ الأفولِ

تعوّض من ذِراعِ الخطوِ فِترَا و مِنْ غضٍ لمفلول كليلِ[4]

---

[1] - الألبيري ، الديوان ، ص 78،79 .

[2]- المصدر نفسه ص 105

[3]- المصدر نفسه، ص 105 .

*نبت أخضر ذو ساق يبيض إبيضاضا شديدا إذا يبس .

[4]-الألبيري ،الديوان، ص 106 .

فالألبيري حذر من احتقار الشيب ،فالقطر يبعث بالسيول، فمن بعد القوة ضعفا وشيبة .
فيقول أبو إسحاق الألبيري يذم الشيخ المتصابي :

يا عجبًا من غفلتي بعد أن ... نَاداني الشيب ألَا فارحلَنْ !
وأدرك الفائتُ من قبل أن ... يفجأك الموتُ فلا تنظرنْ
أقبحُ من ترمُقُه مقلةٌ ... مبصرةٌ ،شيخٌ خليعُ الرسَنْ !
تقتادهُ الدهر دواعي الهوى ... إلى الصبا مثل إقتياد البدنْ
يأمل آمال فتىً يافعٍ ... كأنه ليس بشيخ يَفَنْ
ليس جمالُ الشيخ إلا التُّقى ... والمحوُ للسوء بِفعل حَسَنْ [1]

تعجب الشاعر من غفلته بعد ان ناداه الشيب إلى الرحيل ، فمرة صور الغافل بالدابة التي خلعت رسنها للدلالة على رفضها ومرة صوره بالإبل أو البقرة التي تسمن لتنقاد إلى الذبح وتارة أخرى هذا الشيخ بمثله مثل الشاب المراهق الذي يراهن على آمال كبيرة في هذه الحياة وفي خاتمة الأبيات يؤكد أن جمال الشيخ هو في التقوى وفعل الخيرات و ترك السوء.

فالشاعر يلوم نفسه لأنه لم يتعظ بعد ظهور الشيب في القذال :

شابَ القذالُ* فآن أن أرعوي ... لو كنتُ متعظا بشيب قذالِ
ولو أنني مستبصرًا إذا حل بي ... لعلِمت أن حلولهُ ترحالي
فنظرتُ في زادِ لدار إقامتي ... وسَألت ربِي أنْ يحلَّ عِقالي[2]

فظهور الشيب في القذال فمن المفترض أن يؤدي إلى التوبة وهو يتمنى لو كان متعظا فيرعوي، فلو كان بصيرا عندما حل به الشيب لعلم أن ذلك بداية لترحاله وأكد حقيقتها فنظر إلى العمل الصالح للتزود يوم القيامة بالتوجه إلى الله.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 20 .
* القذال : جماع مؤخر الرأس .
[2] - المصدر نفسه، ص 45 .

إن هذا الموقف من الألبيري تجاه الشيب " يشكل حافزا للشاعر و المتلقي على حد سواء لأخذ زمام المبادرة يترك ماهو قبيح من الممارسات الأخلاقية ، وتبني مسلكا أخلاقيا آخر أسمى و أرفع ، يتوافق مع مرحلة الشيب و تقدم العمر "[1]

و قد تحسر على شبابه و أخذ يروي ما فعله المشيب به فقال :

و أرى شَبابي ظَاعنا في عسكرٍ عني و شَيْبي وافداً بعساكرِ [2]

وصف شبابه بأنه (ظاعن) إيحاء بالحسرة على رحيل الشباب ، ليوضح قوة غزو الشيب له ،حين عبر بالجمع (عساكر) مع الشيب و بالمفرد (عسكر) تدل (على الشباب) إيحاء منه على قوة غزو الشيب رأسه .

فهو ينصح الشيخ الذي بلغ سنا متقدمة إلى التقوى فيقول :

الشيبُ نبّه ذا التّهَى فتنبّها و تهى الجهولَ فما استفاق و لاانتهى

بل زاد نفسي رغبةَ فتهافتت تبغي اللّهى و كأن بها بين اللهَا

فإلى متى ألهو و أفرح بالمنا و الشيخُ أقبحُ ما يكون إذا لها

ما حُسنهُ إلا التّقى لا أن يُرى صبا بألحاظِ الجآذرِ والمهَا[3]

بدأ الشاعر بالحديث على الشيب و استرسال نفس الشاعر مع الصبوات على رغم التقدم في السن و علامات الشيب ، فهو يقبّح الشيخ الذي ينشغل بملذات الدنيا و من المستحسن له أن يكون تقيا ورعا لقوله تعالى: « **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** » [4] .

فالحقيقة أن الشيخ الذي بلغ من العمر الكثير عليه أن يعمل من أجل الفوز بنعيم الآخرة على نعيم الدنيا، فالألبيري أكثر من كلمة الشيب في شعره و هو دليل على انه هو نذير الإنسان على اقتراب أجله، فهو ينصحه بالابتعاد عن المحرمات والدعوة إلى التقوى والورع .

---

[1]- يوسف شحدة الكحلوت،الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 150 .

[2]- الألبيري، الديوان ، ص 92 .

[3] - المصدر نفسه، ص 53 .

[4]- سورة الحجرات الآية 13 .

6- محاور أخرى:

6-1: ذم حياة الملوك:

إن الشاعر أبي إسحاق يرى بأن الحياة الملوك ما هي الا متاع الدنيا من الذهب و المال و الأسلحة المختلفة و الخيول الكريمة و يعتبر أن مصيرهم هو الزوال فيقول :

أيْن الملوكُ و أين ما جمعُوا و ما ذخرُوه من ذهبِ المتاع الذَّاهِبِ
و من السَّوابغ و الصَّوارم و القنا و من الصَّواهل بدن شوازِبِ
كانت سوابقها تحمل منهم أقمارُ أندية و أسدَ كتائبُ
كانُوا ليوثًا خفية لكنهم سكنوا غياض أسنَّة و قواضبِ
قصَفتهم ريح الرَّدى و رمتهُمُ كفُّ المنون بكل سهمٍ صائِبِ [1]

فالألبيري يتساءل عن مكان الملوك وما جمعوه من متاع الدنيا كالذهب ومختلف الأسلحة والخيول ولكن الموت لهم بالمرصاد، فقصفتهم ريح الموت من جذورهم ومناصبهم ثم سدد عليهم الموت فأصابهم بسهمه .

فالألبيري يتساءل على ما آل إليه الجبابرة والطغاة فيقول :

أينَ الجَبابرة الأُلى ورياشُهُم قد باشرُوا بعد الحريرِ ثراكِ
ولطالما رفلُوا بأردية البها فتعوَّضوا منها رداءً رُداكِ
كانتْ وجوهُهُم كأقمار الدجَا فغدت مسجَّاة بثوبِ دُجَاكِ
وعَنَّت لِقيّوم السماوات العُلا ربِّ الجميعِ و قاهرِ الأملاكِ [2]

فهو يتساءل عن الجبابرة و يسأل عن رياشهم وحريرهم أردية البهاء الدين كانوا يتباهون بها، وكانت وجوههم كأقمار الدجا، وأصبحت من دجا الأرض، وعنت لقيوم العلا رب الخلق جميعا وقاهر الأملاك لقوله تعالى: « **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** » [3].

---

[1]- الألبيري ، الديوان ص 134 .

[2] - المصدر نفسه، ص 42 – 43 .

[3]- سورة طه الآية ،111.

يقارن الشاعر بين حياة الملوك في الدنيا وحياتهم في القبر، تاركين وراءهم ملذات الدنيا فيقول:

ومن ملك كان السرور مهاده مع الآنسات الخُرّدِ الخِفرات
غدًا لا يدُودُ الدودُ من حُرّ وجهه و آرآمِهِ بالرقش و الحَشَراتِ
وصار بَبَطِنُ الأرض يلتحق الثَّرى و كان يَجُرّ الوَشْيَ والحِبَرات[1]

فهذه الحياة لا تدوم لأحد : فحياة الملوك في الدنيا في فرح و سرور مع الفتيات الأبكار الجميلات، أما غدًا فهم يعيشون مع الدود وأصبح انسيهم في القبر الحيات والحشرات وأصبح فراشهم من تراب بعدما كانوا يجرون وراءهم الثياب المزركشة.

2.6 .التوبة من الذنوب:

لقد حثنا القرآن الكريم على التوبة في قوله تعالى:«**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** »[2].

وفي السنة النبوية المطهرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تاب قبل أن تطلع الشمس تاب الله عليه»[3]رواه مسلم.

أما بالنسبة للألبيري الذي يتجه ساعيا للتخلص من الدنوب فيقول :

من ليسَ يسعى في الْخلاصَ لنفسه كانت سعايته عليها لا لهَا !
إن الذّنوب بتوبةٍ تُمحى كما يَمحُو سجود السهو غفلة من سها[4]

يسعى الألبيري جاهدا للتخلص من الذنوب بالسعي لمحو الذنوب بالتوبة كما يمحو سجود السهو غفلة من سها ليوضح غفران الذنوب بالتوبة وهده رحمة من الله بعباده يتحدث الألبيري "عن بعض معالم التوبة الصادقة من خلال سيرة أهل العلم و الزهاد لأنهم أكثر الناس قربا من الله تعالى و أكثرهم طاعة له، وبذلك استحقوا ان يكونوا نموذجا صالحا يقتدي في مثل به هذا الأمر" [5] فقال :

---

[1] - الالبيري ،الديوان، ص 60 -61 .

[2] - سورة النور الآية 31 .

[3] - محي الدين بن شرف النوري رياض الصالحين ، ط1 ، بيروت ، لبنان ص، 14-15 .

[4] -الألبيري ، الديوان، ص 55 .

[5] -يوسف شحدة الكحلوت ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، ص 133 .

وتائبٌ من ذنبه مشفق يبكي بكاء الواكفاتِ الهتنْ
تخالهُ بين يدي ربِّه في ظلام الليل كمثل الغُصُن
إن مَهد الناس لدنياهم شهر في تمهيدهِ للجنن*[1]

فهو يصور لنا التائبين في توبتهم الصادقة بكل جوارحهم، فهو دائم الخوف من الله، فهو يبكي بكاء غزيرا كالمطر، ويقف بين يدي الله مناجيا له في وقت اشتداد ظلمة الليل فالناس يريدون أن يعيشوا في ملذات الدنيا دون هوادة ،أما حاله فهو على استعداد للحياة الاخرى والنجاة من عذاب القبر ويحيل الألبيري موضوع التوبة إلى تجربة يحياها ويعيشها فيقول:

فهلْ من تويةٍ من نصوح تُطيرنِي وتأخذ لي سراحِي
فيا لهفي إذ جُمِعَ البرايا على حَربي لديهم و إفتِضاحِي
ولولا أنني أرجو إلهي ورحمته يئسْت من الفلاح [2]

6-3 الدعـاء والابتهـال:

إن أهم ما يربط العبد بربه هو الدعاء بخالقه عز وجل، وقد جعله الله وسيلة لطلب المولى عن الصفح عن الذنوب حيث قال الله تعالى: «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**»[3]
فالألبيري يقول في هذا الشأن:

لا قُوة لي يا ربِي فانتصرْ ولا براءة مِنْ ذنبِي فاعتذرْ
فإن تُعاقب فأهل للعقاب وإنْ تَغفر فعفوك مأمولٌ ومنتظرْ
إن العظيم إذا لم يعفُ مقتدرا عن العظيمِ فمن يعفو ويقتدر[4]

يؤكد الألبيري على استسلام العبد المؤمن لله تعالى أمام حقيقة الضعف الإنساني بالدعاء والتوجه إلى الله والتسليم لحكمه وقضائه والدعاء بالعفو والمغفرة؛ لأن لا حول ولا

---

* الجنن : القبر .
[1]- الألبيري، الديوان،ص115.
[2] - المصدر نفسه ص51 .
[3]- سورة البقرة الآية ، 186 .
[4] - الألبيري ، الديوان ص 136 .

قوة إلا بالله العلي العظيم، غافر الذنب، وقابل التوبة شديد العقاب، حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة» [1]

كما تبرز الضعف الإنساني في الخوف من النار يقول الألبيري :

فليس مثلي طالبا حبة إلا المعافاة من النار
وطالما استرحمته ضارعًا يارب حرِّمني من النار
فأنت مولاي ولا ربَّ لي غيرك: أعتقني من النار
ولم تَزل تسمعني قائلا: أعوذُ بالله من النار [2]

فالألبيري يدعوا الله ويتضرع إليه ليرزقه الفوز بالجنة، والنجاة من النار وأن يحرم وجهه منها؛ فالشاعر قد ألح الدعاء، ويطلب من الله أن لا يرد الملح فقال :

إنِّي دُعوتك مُلحِفًا لِتُجيرني ممَّا أخافُ فلا تُردَّ المُلحَفا[3]

6-4 الدعوة إلى القناعة والكفاف:

إن القناعة وعيش الكفاف من الأمور الإيجابية في سلوك الإنسان في الحياة فهو ليس "خلقا وضيعا يورث الضعف والوهن في النفس لأنها لا تعني الانقطاع من الحياة والانزواء في مجالها وميدانها، بل تعني حسن الرضى" [4]، وقد سلك الشاعر هذا المسلك في شعره بالدعوة إلى الإكتفاء من عرض الدنيا بالضروري من الكافي "والأخذ من الحلال إن قل وجفا دون الحرام إن كثر وحلا" [5]، يقول:

وَخُد الكفاف ولا تكن ذا فضلةٍ فالفضلُ تسألُ عنهُ أيَّ سُؤالِ
ودع المطارف والمطيَّ لأهلها واقنعْ بأطمار ولبس نعالِ
قَهُمُ وأنتَ وفقرنا وغِناهُم لا يستقرُّ ولا يدومُ بحالِ [6]

---

[1]- سنن ابن ماجة ج1 ، ص 126 .
[2]- المصدر السابق ، ص 104 .
[3]- المصدر نفسه ، ص 52 .
[4]- مجاهد بهجت، التيار الإسلامي في الشعر العباسي الاول ، و المطبوعات العربية ط1 ، 1982 ، ص 447 .
[5]- محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي ، ص 90 .
[6]- الألبيري ، الديوان ص 46 .

فالشاعر يدعو إلى القناعة في الأكل والملبس وترك المطارف والمطي للأغنياء والاكتفاء بالثياب البالية والمشي بدل الركوب، لأن دوام الحال من المحال، سواء للغني أو الفقير لأن القناعة كنز لا يفنى .

6-5 الإيمان بالقضاء و القدر:

إن القضاء والقدر من سنن الحياة والتسليم بها من العقائد الإيمانية التي ينبغي للمؤمن من أن يؤمن بها وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:« **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**»[1].

و يقول الألبيري في هذا الصدد:

هي الأقدارُ و الآجالُ تأتي فتنزل بالمُطابب و الطبيبِ

تُفوّق أسهما عن قوسِ غيبٍ وما أغراضُها غيرُ القُلوبِ

فأنّى باحتراسٍ من جنودٍ مؤيَّدة تمدّ من الغُيوبِ [2]

فهو يؤكد أن الآجال والأقدار موجودة؛ فهي تنزل عن المطبب والطبيب وتكون أسهمها من قوة غيبية لا يعلمها إلا الله ولا هدف لها إلى القلوب تجعل الإنسان متيقنا جاهز لمثل هذه الأقدار .

يتطلع الشاعر إلى التوبة النصوح التي تكفل إطلاق سراحه من أسر الدنيا و الخطايا رجاء الخالق، و طلب الرحمة والمغفرة.

ولأن البشر تجدهم مستهترين فكان لابد عليه من استعمال بعض الألفاظ الحادة حتى يعيد هؤلاء إلى طريق الرشاد والحق.

[1] - سورة الحديد، الآية: 22.

[2] - المصدر السابق،ص37.

خـــاتمـــة

وأخيرا فقد حط البحث رحاله بعد أن وصل إلى نهايته من خلال هذه الدراسة التي أتت لتكشف عن أحد مضامين شعر الزهد عند الألبيري ، فباعتبار الزهد قد نشأ نشأة إسلامية خالصة استمدها من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و إلى كل السلف الصالح ، و لقد كان للعوامل السياسية و الدينية و الاجتماعية و زهد كثير من الشعراء دليل على تقوية هدا الغرض في نفوس المجتمع الأندلسي الذي كان يعيش نوعا من الفوضى و كثرة المجان و الفساق .

والزهد يتصل بالجانب الأخلاقي و الجانب الديني لأنه منهج متكامل و شامل يلغي الجانب المادي و لقد تعددت موضوعات الزهد، حيث كان موضوع الموت و ذم الدنيا من أكثر اهتمامات عند الألبيري و مختلف الأغراض الأخرى كالشباب و الشيب الحث على طلب العلم ،الألبيري من الشعراء الذي أكثروا من توظيف معاني القرآن الكريم دليل على قوة إيمان الشاعر بمصير الإنسان المحتوم ، وقد كان الألبيري ملهما للناس باستخدام أسلوب التخويف بالموت و الجنة و النار و الشيب كما كان هناك أسلوب متصل بالوعظ و الإرشاد كالقناعة والحث على العلم الصالح و على الدعاء و الابتهال كلها ألفاظ استعملها كسلاح لإصلاح المجتمع وتوعيته.

ومن خلال ما تم ذكره عن أهم موضوعات الزهد عند الألبيري نجد أن جل هذه الموضوعات قد استمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إضافة إلى بعض المظاهر التي كانت سائدة في عصره، حيث حاول علاجها والوقوف على بعض السلبيات التي كانت تسيطر على حياة الناس في ذلك العصر حيث وجه جهده لذم الحياة والتذكير بالآخرة عله يجد آذانا صاغية .

وقد اعتمد كذلك أسلوب الترغيب والترهيب حتى يجعل من الدنيا مجرد محطة عبور طريق يفضي في الأخير إلى رضا الله ونيل الجزاء بالدخول إلى الجنة وبالحديث عن أسلوب الشاعر فكانت اللغة واضحة ومباشرة ليفهمها العامة من الناس وهي دعوة ضمنية للإصلاح المجتمع وتوعيته في ظل الترف والبدخ الذي يعيشه الإنسان في الأندلس في عصر ملوك الطوائف.

ونستنتج أن العوامل الاجتماعية والسياسية كان لها الأثر البالغ في زهد الشعراء وفي وانتشاره بسرعة في الأندلس في ظل الحياة المادية.

ويرى الألبيري أن تذكرهم بالآخرة كفيل بصرف الناس عن ملذات الدنيا ومتاعها وأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كفيلان بتحقيق هذا الغرض ولأن الناس يميلون إلى أسلوب آخر غير الأسلوب القرآني فهو يسعى جاهدا لتطعيم شعره بهذه النبرة الدينية حتى يجذب الناس لغرضه الأساسي، ومن يقرأ زهدياته يحس بحرارة عالية الهادفة وإلى الزهد في الدنيا والتطلع للآخرة.

ففلسفة الزهد حقيقة كامنة في الإسلام ،لأنها تنظم الجانب الأخلاقي وتدعو إلى ترك الرذائل والأخلاق السيئة ،فالألبيري كونه من أبرز شعراء عصره ،فكان له أهمية كبيرة في تربية الناس على أسس إسلامية وأن الزهد سلوك يحتاجه الإنسان في حياته ،فالقرآن علمنا معنى الدنيا وماهي إلى متاع الغرور، فلإنسان عندما يصل إلى مرحلة متقدمة من السن يحس بأهمية الدنيا الزائلة.

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ/-المصادروالمراجع

1-الألبيري : الديوان : تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ط1 ، 1411.

2-ابن منظور، لسان العرب، مادة زهد،ج4، مكتبة دار المعارف بالقاهرة ، 1979

3-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط7، 1998.

3-الحسين المسلم : المسند الصحيح المختصر من السنن ،ج2.

4 – ابن حمديس، ديوانه، تصحيح إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1960 .

5- أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، م3 ،دط، دت .

6-ابن خفاجة ، ديوانه ، تحقيق عبد الله سنرة بدار المعرفة بيروت، لبنان، ط1 1985.

7-سنن الترميدي،تحقيق : إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مصر، ط1،دت.

8 -عبد الله القرطبي، الزهد ،تحقيق مجدي فتحي السيد ، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، ط 1 ، 1988.

9-ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، شرحه أحمد أمين إبراهيم الأيباري ، دار الكتاب العربي، بيروت،دط، دت.

10-الغزالي، إحياء علوم الدين – دار الفكر، مصر، دط، دت.

11-القشيري، الرسالة القشرية،دار الكتاب العربي، بيروت،دط، دت.

12-ابن ماجة – كتاب الزهد – باب 01 ، رقم الحديث 4101 .

13-ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، دت.

14-ابن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان، دمشق،دط ، 1987 .

15-ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2،دت.

16-لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار عرناطة، ط1 مكتبة الخانجي، مصر، دط، دت.

17-محمود بن عمر جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة تح : محمد باسل عيون سود، مادة: زهد، ج3، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1998 .

18 -محي الدين بن يحي شرف الدين النووي، رياض الصالحين، ط3 بيروت،2006.

19أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد، دار ابن كثير ط1 1999.

20-إحسان عباس : تاريخ الأدب عصر سيادة قرطبة ، سلسلة المكتبة الاندلسية دار الثقافة بيروت ، لبنان، ط7 ، 1985.

21أحمد فارس زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط :عبد السلام هارون ج3، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، لبنان، دت، دط .

22أحمد فريد، البحر الرائق في الزهد والرقائق، مكتبة الصحابة، جدة، ط2، 1992

23-أزاد محمد الباجلاني ، المجالس الشعرية في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة دار غيداء ، 2012 ، ط1 ،2013 .

24-آزاد محمد كريم الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصر الخلافة والطوائف،دار غيداء للنشر والتوزيع، جامعة الأنبار،ط2، 2012.

25- أنخل جنثالث بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ط1 ، 1955.

26-بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس و عصر الانبعاث، دار نظير عبود ،طبعة منقحة،دت،دط .

27-التميمي أبو عبد الله محمد، المستفاد في مناقب العباد مدنية فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب،2002.

28-حنا حسن محمود، المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي القاهرة ، ط2 ،دت .

29-حنا نمر، دراسات في الأدب و الفن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان ط1،دت .

30-خالد سعيد العلام ، مصادر تجربة ابن مسرة الصوفية ، جامعة عمر المختار كلية الأداب دط،دت.

31-سامي يوسف أبو زيد، الأدب الأندلس ، دار المسيرة ،عمان ، الأردن ، ط1 ، 2012 .

32-سعد شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، دار مصر للطباعة القاهرة 1978. -33-شوقي ضيف : الفن و مذاهبه في الشعر العربي دار المعارف ، مصر، ط 13 د ت.

34-صلاح جرار : قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، ط1،دت.

35- الطاهر مكي: دراسات أندليسة في الأندلس، دار المعارف في القاهرة، مصر ط1 ، .1980

36-عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد ، ديوان بن حمديس ، صححه إحسان عباس دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

37-عبد الله التطاوي ، حركة الشعر في ظل المؤثرات الإسلامية ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة،دط،دت. .

38-عبد الله بن مبارك المرزري، الزهد والرقائق، تحقيق أحمد فريد، دار المعراج الدولية للنشر ، م1 ، ط1 1990.

39-عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي ، دار جرير، عمان، الأردن، ط1 دت.

40-فايز القيسي ، أداب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الخامس الهجري دار البشير للنشر و التوزيع ، عمان 1989 ، ص 198 .

41-فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ،ط1 ، 2008 .

42-مجاهد بهجت، التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول ، المطبوعات العربية مصر،ط1 ، 1982 .

43-محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة، في بلاد المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية، 1993.

44-محمد بن الحارث الخشني ،قضاة قرطبة ،مكتبة الجانجي القاهرة ،ط1، 1953

45-محمد رضوان داية ، في الأدب الأندلسي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق سوريا ط1 ،1989 .

46-مصطفى الشكعة أدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ، دار العلم للملايين ط6 1982 .

47 -نافع محمود ، اتجاهات الشعر الاندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، دار الشؤون الثقافية العامة ط1 ، 1999 .

48-هيام يوسف المجدلاوي : الزهد في الشعر الأندلسي في القرنين الرابع و الخامس الهجري دراسة تحليلية ، رسالة مكملة لنيل درجة الماجستر في الأداب و النقد ، كلية الأداب و العلوم الإنسانية ، غزة ، فلسطين 2010 .

49-يحي بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة، منشورات مكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2 ،1982 .

50-يعقوب زكي ، ديوان ابن شهيد الأندلس ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر القاهرة ،دط، دت.

51-يوسف شحدت الكحلوت : الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، الجامعة الإسلامية ،2010،دط،دت.

52-عباس محجوب ،أصول الفكر التربوي،مؤسسة علوم القرآن،ابن كثير،ط1، 1999

ج/- المجلات:

01- محمد عبد الرحمان ، شعر الحكمة و الزهد في عصر الطوائف ، مجلة كلية الأعظم،ع14، 2010 .

فهرس الموضوعات

مقدمة أ
مدخل:الحياة الدينية في الأندلس 08
الفصل الأول: الزهد وعوامل ظهوره 13
1. تعريف الزهد 15
2.1 الزهد في القرآن والسنة 16
3.1 الزهد عند السلف الصالح 19
2. عوامل غرض الزهد في الأندلس 22
1.2 العامل الديني 22
2.2 العامل السياسي 25
3.2 العامل الاجتماعي 28
4.2 زهد الشعراء 29
الفصل الثاني: موضوعات شعر الزهد عند الألبيري 33
1- التذكير بالموت 36
2- ذم الدنيا 40
3- الجنة و النار 45
4-الحث على العلم والانصراف عن الملذات: 53
5- الشيب والشباب 57

6- محاور أخرى **57**

6-1: ذم حياة الملوك **57**

6-2 **التوبة من الذنوب** 58

6-3 الدعاء والابتهال **59**

6-4 الدعوة إلى القناعة والكفاف **60**

6-5 الإيمان بالقضاء و القدر **61**

خاتمة **62**

قائمة المصادر والمراجع **65**

فهرس الموضوعات

ملخص البحث

ملخص

أثرت الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في الشعر العربي مند استقرار ونشوء الدول والإمارات الإسلامية.

ويتفق جل الباحثين على الخصوصية المتفردة التي حظي بها الشعر الأندلسي، الذي كان له نصيب وافر من التأثر بالمدنية والحضارة التي أسسها المسلمون هناك، فقد كان الشعر الأندلسي خير معبّر عن جميع ما كان يحدث هناك، فكان لزاما وجود حركة شعرية مضادة، فجاء فن الزهد ليعيد الأمور إلى نصابها.

حيث حاول هذا البحث الموسوم ب: "الزهد عند أبي إسحاق الألبيري- دراسة موضوعية-"، أن يقف على خصوصية هذا الغرض وكيف تم تقديم موضوع الزهد وما هي أهم المرتكزات التي صاغ منها مواضيعه.

الكلمات المفتاحية:

-الزهد -شعر أبي إسحاق الألبيري – العصر الأندلسي

- عوامل نشأة الزهد.

Abstract

The political, social, and religious life had an influence on the Arabic poetry since the emergence of Islamic countries and emirates. Most researchers agree upon the unique special interest the Andalusian poetry had, and which received a big impact from the city and civilization that Muslims founded there. The Andalusian poetry was the best means to express what was going in there, the fact that resulted in an opposite poetry movement represented in the art of asceticism. This study, which is entitled: "Asceticism in Abi El Ishak El Albiri: an Objective Study", tried to shed some light on the characteristics of asceticism, the method he presented its theme, and the main bases on which he formed its themes.

Key words: asceticism, the poetry of Abi El Ishak El Albiri, the Andalusian age, the factors of its emergence.